١٠

شخصيَّة الإمام الخليلي من خلال رؤية تلميذه الشيخ يحيى بن أحمد الكندي

د. أحمد بن يحيى الكندي
أستاذ مشارك، قسم أصول الدين،
جامعة السلطان قابوس
سلطنة عُمان
abuyahya101@gmail.com

ملخَّص:

يقدّم الشيخ يحيى بن أحمد الكندي شهادة عن شخصيَّة الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي من خلال معايشته له تلميذًا ثمَّ موظفًا بدولة إمامة عُمان. والإمام الخليلي شخصيَّة فذة تأثيرها كبير على المجتمع العُماني عموما وطلبة العلم خصوصًا. وفي شهادة الشيخ الكندي تتجلى الصفات الخُلقية التي أهلّته لمكانة سامقة من الكمالات البشرية. وعلى المستوى السياسي وازن الإمام بين المرونة والشدة، كلا في موضعه. ومع ضعف الإمامة ماديًّا وعسكريًّا، ورغم الحصار الاقتصادي المضروب عليها فقد نجح الإمام في قيادة دولته لمدة قاربت نصف قرن. تقدِّم الورقة معلومات مهمة عن النظام الإداري للدولة، وعلاقة الإمام بالولاة والقضاة في عهده. كما تقدِّم معلومات جديدة حول أبرز القضايا التي حدثت في تلك الفترة، من خلال معايشة مباشرة للأحداث، أو الحصول عليها ممَّن شاهدها مباشرة. وهذه الشهادة تحصَّل عليها الباحث من والده الشيخ يحيى مباشرة عبر سنين طويلة من التتلمذ والتربية. وكثير من تلك القصص والأخبار سمعها الباحث في أكثر من مناسبة.

كلمات مفتاحيَّة: الإمام الخليلي. شخصيَّة. سيرته. إمامة. إدارة.

مقدِّمة:

إنَّ الإمام الرضي محمَّد بن عبد الله الخليلي شخصيَّة فذة؛ وكان لشخصيته دور وتأثير كبير على المجتمع العُماني عموما وطلبة العلم خصوصًا. وتسعى هذه الورقة العلمية إلى تقديم صورة عن هذه الشخصيَّة العظيمة، وأثرها، ودورها الكبير من خلال نظرة ومعايشة شخصيَّة علمية لا زلنا نحظى بعطائها؛ وهو الشيخ العلَّامة يحيى بن أحمد بن سليمان الكندي. وتتميز تجربة هذا الشيخ بميزات أهمها تربيته العلمية في عهد الإمام، ومخالطته له فترة التكوين العلمي، وكذلك اضطلاعه بعمل في بهلا مساعدا لواليها أستاذه الشيخ العلَّامة سعود بن سليمان الكندي. وهو -كذلك- من القلة الباقين من طلبة العلم من عهد الإمام. ستكشف الورقة معلومات مباشرة مهمة عن الإمام وجوانب من شخصيته العظيمة. وتمثّل المادة المرصودة قيمة علمية توثيقية مهمة باعتبار الشيخ يحيى شاهد عصر لفترة جيدة من دولة الإمام الخليلي.

الشيخ يحيى ولادة وتربية ومعايشة للعهد الخليلي:

هو الشيخ الفقيه اللغوي العلَّامة يحيى بن أحمد بن سليمان بن عامر بن خميس بن عامر بن خميس بن سالم بن عبد الله بن محمَّد الكندي النزوي -حفظه الله- أحد رجالات العلم المبرزين في عُمان عامة، وفي نزوى خاصَّة، وأحد فقهاء عُمان البارزين والمشهود لهم بالعلم والفضل.

ولد الشيخ في صفر عام ١٣٤٩ هـ، وقد حكى ذلك بنفسه وأنَّه أرَّخه له جده لأمه الشيخ القاضي سعيد بن أحمد الكندي. نشأ وتربى في محضن صالح وأسرة علمية؛ فقد كان أبوه الشيخ أحمد بن سليمان الكندي من أكثر الناس إتقانا في حفظه للقرآن الكريم. ويذكر الشيخ الوالد عنه أنَّه عرض عليه القرآن وسمَّعه له فلم يُخْطِئ حرفا. وقد كان حين تذكر له الكلمة من القرآن ينص على موضعها بدقة متناهية. وكان كثير المجالسة لأهل العلم، والسفر معهم خاصَّة عديله الشيخ العلَّامة سعيد بن ناصر الكندي. وكان يجتهد في التطبيق الفقهي في أعمال تعبده. وقد روى لنا ابنه الشيخ الوالد وغيره في ذلك عددا من أخبار دينه وفضله

واجتهاده[١].

وأمَّا أمه فهي الشيخة أصيلة بنت العلَّامة القاضي سعيد بن أحمد الكندي. كانت حافظة للقرآن، وتحفظ مسند الإمام الربيع، وبعض الكتب الفقهيَّة. وكانت فقيهة صالحة حازمة في تربية أبنائها، ذات شخصيَّة قوية. وكان لها أثر كبير في تربية ابنيها الشيخين الجليلين يحيى وإبراهيم[٢]. إن هذه الأسرة كان لها الأثر الكبير في حسن تنشئة الشيخ يحيى، فإذا أضفنا أرومة الفضل الذي تميزت به كل أسرته، فقد كان من أخواته الكبيرات من يحفظ القرآن، وضرب مثلا عاليا في العبادة، ومداومة الذكر والقيام بالليل، وهكذا جده الشيخ سليمان بن عامر[٣]،

---

١) من ذلك مواظبته على جملة من الأذكار كان الشيخ الوالد يسمعها منه، وهو صغير، وحين كبر وبحث عنها، وجدها روايات مأثورة عن النبيِّ ﷺ في دعائه. ومن ذلك استمراره في صلاته، وعدم قطعها بعدما لدغته حيَّة فلم يقطع الصلاة، ومن ذلك ورعه وشدَّة احتياطه حين كان وكيلا لفطرة مسجد الردَّة؛ فكان يجمع النوى من أكل المفطرين. وقد أسَّس وبنى مسجد اللثلة مع وقف له شرقيَّ المسجد القديم، علما بأنَّ المسجد أعيد بناؤه حديثا، وكان ذا خلق رفيع. يذكر الشيخ الوالد أنَّ أباه كان متزوِّجا من امرأة سليمانيَّة من أهل عقر نزوى، ولم تستمرَّ هذه العلاقة الزوجيَّة، ولكنَّه كان يزور أمَّ زوجته التي ظلَّت محرما منه، وكم من المرَّات يقول لابنه وهو معه في سوق نزوى -حيث كان تاجرا-: اليوم سنتغدَّى مع الوالدة فلانة أمِّ المرأة التي كانت زوجتي. وكذلك روى الشيخ الوالد مشاركة أبيه في الجهاد؛ كالمشاركة في فتح بهلا بعد استنجاد أهل بهلا بالإمام. فيذكر الوالد عن والده أحمد بن سليمان أنَّ جيش الإمام جاء ليلا، وأرسل الله المطر، ونزل كلٌّ من في البروج والحصون من شدَّة المطر؛ ففتح الله لهم البلد، إذ دخلوها بلا مقاومة. وكذا مشاركته في نهوض الإمام إلى عبري، فقد روى الشيخ الوالد عن والده أحمد بن سليمان مشاركته في نهضة عبري.

٢) تخبرني أمِّي نقلا عن جدَّتي -أمِّ والدي- أنَّها توقظ ابنها يحيى لصلاة الفجر في سن السابعة أو قبلها؛ وان وجدته - وهو ما زال صبيًّا صغيرا - تأخَّر تكرِّر على مسمعه هذه العبارة: "مضوا يا أخي السادة وبقوا يا أخي أقرناء (كذا) الوسادة". وكانت هذه المرأة عابدة، قدوة النساء ومفزعهنَّ في حلِّ مشكلاتهنَّ. وقد سمعت بنفسي بعض كبيرات السنِّ تذكر ذلك وأنهنَّ كنَّ يستعنَّ بها، ويرجعن إليها في أمور دينهنَّ، رحمها الله.

٣) المعلومات التي وصلتنا شحيحة؛ لعدم اشتغال أحد بالترجمة عنهم للأسف. ومع ذلك فما وصلنا يبيِّن أنَّ الشيخ سليمان بن عامر كان رجل علم وفضل؛ فيروي حفيده لابنته، وهو الوالد سليمان بن ماجد الكندي مشهد جدِّه لأمِّه أنَّه كان يجلس في الصباح في بوابة بمحلَّة ردَّة الكنود، وبحضور الجماعة، وهو يقرأ في كتاب وضعه في مرفع للكتاب أمامه، وكان الكتاب "تفسير الكشَّاف". فكان الشيخ يمارس قراءة علم التفسير من الكشَّاف. ومن المعلوم أنَّ الكشَّاف يحتاج فهمه إلى علم؛ ممَّا يدلل على وجود إمكانيَّة علميَّة لديه لفهم الكشَّاف. ويذكر أحد الآباء الكبار في السنِّ، وهو الوالد عيسى بن سليمان الكندي أنَّ الوالد سليمان بن عامر نزل يوما من مسجد محلَّة ردَّة الكنود، وكان منزله مواجها المسجد، فرأى غنمة تحكُّ بقرنها جدار المسجد، وكان يملكها -وربما كانت الوحيدة- فقال: ستجمعين عليَّ ذنوبا، وأمر ببيعها. وكان نجله الأكبر الشيخ زاهر بن سليمان - كما روى الشيخ الوالد يحيى حفظه الله- على رأس وفد جماعة الكنود الذين بايعوا الإمام عزَّان بن قيس من نزوى، وكان يتلو بعد البيعة قول الله تعالى: (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ) (الأنبياء: ٩٥)؛ وكأنَّه يقصد دولة الجور والظلم لن تعود بعد تلك البيعة. والشيخ زاهر هذا أحد شهداء يد الغدر الذين قُتلوا بعد زوال دولة الإمام عزَّان رحمهم الله جميعا. وانتقم الله من القاتل المستأجر بأن قُتل في حرب وقعت بعد مدَّة في نفس الموضع الذي قُتل فيه الشيخ زاهر. ويقول الوالد نقلا عن الشيخ سعيد بن حمد الحارثي حين ذكر له قصَّة زاهر، وأنَّ أخت الوالد قالت: سبب قتله تلاوة هذه الآية، فقال الشيخ سعيد: لم يقتل للآية، وإنَّما لأنَّ عنده علما وللمسلمين فيه أنظارا. نقلا عن روايات شفويَّة سمعها الباحث بنفسه.

الذي اشتهر بملازمته لكتاب الكشاف، وباقي محضن الخير من الأسرة على هذا المنوال.

اتجه الشيخ يحيى لطلب العلم مبكرا وحفظ القرآن صغيرا، وكان يقرأ القرآن على أستاذه ومعلمه الشيخ علي بن حمد السيباني وعلى أمه وأبيه فختم القرآن مبكرا، وحفظه من حلقة التلاوة في المسجد. وقد سألته كيف حفظت القرآن فقال في حلقة المسجد من تسميعهم لآبائهم الحافظين للقرآن. وقد عدّ شيخنا الوالد حفظه الله ما يقارب الخمسة عشر حافظا لكتاب الله في مسجد محلة ردة الكنود، كانوا سواري المسجد وأعمدته. فكان ذلك الجو محفزا للتلميذ النجيب على حفظ كتاب الله. وأمَّا دراسة الفقه فقد لازم أول الأمر الشيخين الجليلين سعود بن سليمان الكندي، وسليمان بن سالم الكندي، في مسجد العلاَّمة مخلد بن روح الكندي، ومسجد الجنائز، -وكلاهما في محلة المدة- وفي مسجد محلة ردة الكنود. ثمَّ انتقل بعد ذلك إلى جامع نزوى؛ حيث المربي العالم الشيخ حامد بن ناصر الشكيلي، وغيره من الشيوخ في الجامع. واستمر إلى نهاية سن الثامنة عشرة؛ ليصبح منذ ذلك السن عالما جليلا. ويمكننا تصنيف شيوخه حسب مدة الملازمة، والتأثير في شخصيته العلمية على النحو الآتي:

- **الشيخ العلاَّمة القاضي سعود بن سليمان الكندي**، العالم الفقيه المفسر اللغوي الحكيم المحنك؛ ويعدُّ أكثرَ مَن أثَّر في تكوينه، ولازمه طيلة حياته، وكان عونا له وسندا. وعمل معه مساعدا لستِّ سنوات في ولاية بهلا. والحق أنَّ الشيخين سعودًا ويحيى شكَّلا في نزوى مدرسة تستحقُّ الدراسة والتأمُّل، وعلاقة علمية منسجمة، حتَّى مع اختلاف الرأي الفقهي الذي قد يعمل به أيٌّ من الشيخين. فشكَّلا مدرسة أنموذجيَّة توافقيَّة استمرَّت مظلَّة لكثير من الأنشطة العلميَّة والدعويَّة والاجتماعيَّة في نزوى[1].

---

١) عُمُر جدِّي الشيخ سعود رحمه الله عند وفاته ١٠٣ عاما. ويعدُّ أحد أركان، وأقطاب دولتي الإمام الخليلي، والهنائي. واستمرَّ في القضاء إلى نهاية عهد السلطان سعيد بن تيمور، ثمَّ عهد ولده جلالة السلطان قابوس إلى عام ١٩٩٧م. ويعدُّ المرجع الأبرز للقضاء في عمان خلال حياته بلا مبالغة. ويتميَّز بموسوعيَّته، وتنوُّع معارفه، مع ذكاء حادٍّ؛ يؤكِّد ذلك وصف شيخه الإمام الخليلي له بأذكى القضاة. لمزيد من التفصيل عن حياة الشيخ سعود يُنظر: السيابي، سالم بن حمود: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٣٨٤هـ، ص٩٠. والمالكي، عامر بن خميس: غاية المطلوب في الأثر المنسوب، تح: بدر بن سالم بن حمدان العبري، ط١، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، عُمان، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٤. والخصيبي،

- الشيخ حامد بن ناصر بن وجد الشكيلي الفقيه اللغوي البارع، تولى التدريس في جامع نزوى فترة طويلة. وكان يدرّس النحو، واللغة، والفقه، والتوحيد، وغير ذلك من الفنون. وكان والده ناصر بن وجد فقيرا ورعا؛ صانعا يبني، طلبه أحد أهل الدنيا والسلطة ليعينه في بناء برج، فهرب منه؛ حتَّى لا يكون سببا ليضر المسلمين من بناء البرج، كما يريد ذلك الزعيم القبلي؛ فالتجأ إلى الرستاق، وربى ولده أحسن تربية. وتعلم في الرستاق على يد الشيخ راشد بن سيف اللمكي، والإمام نور الدين السالمي عندما كان في الرستاق. ثمَّ عاد الشيخ حامد عالما مربيا جليلا. وكان رجلا مباركا؛ تخرج على يديه الكثير من حملة العلم. أخبرني الوالد الشيخ أنَّه كان يجتمع في حلقته ما لا يقل عن أربعين، ممَّن صاروا علماء، وفقهاء، وقضاة أجلاء، وذكر عددا منهم[١].

- **العلَّامة الخطيب القاضي سليمان بن سالم الكندي**، عالم جليل؛ تولى التدريس في مسجد العلاَّمة مخلد بن روح الكندي بمحلة المدة بنزوى. يمكننا القول: إنَّه من العلماء الأفذاذ في عصره. كانت له مكانة خاصَّة عالية في قلب الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي. وكان خطيبا مصقعا ولقب بـ"الشيخ الخطيب"[٢].

محمَّد بن راشد: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، ط٢، المطبعة الوطنية، وزارة التراث القومي والثقافة، روي، سلطنة عمان، ١٩٨٧م، ج١، ص٣٢٨.

١) من أبرز من تتلمذوا على هذا الشيخ: الشيخ القاضي منصور بن ناصر الفارسي، والشيخ القاضي سفيان بن محمَّد الراشدي، والشيخ القاضي سعيد بن ناصر السيفي، والشيخ القاضي سعود بن سليمان الكندي، والعلَّامة الخطيب القاضي سليمان بن سالم الكندي، والشيخ القاضي محمَّد بن شامس البطاشي، والشيخ القاضي حمد بن عبد الله الألبوسعيدي، والسيد محمَّد بن أحمد الألبوسعيدي، والشيخ القاضي خالد بن مهنا البطاشي، والشيخ القاضي سالم بن قسور الراشدي. وهناك طبقة أخرى بعد هؤلاء في السن، منهم: الشيخ القاضي سيف بن محمَّد الفارسي الفنجاوي، والشيخ الوالد يحيى بن أحمد الكندي، والشيخ القاضي حمود بن عبد الله الراشدي، والشيخ ناصر ين راشد المحروقي، والشيخ عبد الله بن سيف الكندي النخلي، والشيخ القاضي سيف بن حمدان السبتي، والشيخ القاضي حمد بن زهير الفارسي الفنجاوي، والشيخ القاضي جابر بن علي المسكري، والشيخ السيد حمد بن سيف الألبوسعيدي، وغير هؤلاء كثير. ينظر: الكندي أحمد بن يحيى: جامع نزوى وأدواره (مرقون). والخصيبي: شقائق النعمان، ج١، ص٣٢٢. ومجموعة باحثين: دليل أعلام عمان موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، ط١، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عمان، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص٤٩. والفارسي، ناصر بن منصور: نزوى عبر الأيام معالم وأعلام، ط١، مطبعة النهضة، نشر نادي نزوى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٢٠٧-٢٠٩. والسعدي، فهد بن علي: معجم أعلام الشعراء الإباضيَّة، المكتبة الشاملة، ترجمة ٣٧. وينظر ورود ذكره في: المالكي، أبو مالك عامر بن خميس: الدر النظيم من أجوبة أبي مالك بالمناظيم، ط١، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ١٩٨٢م، ص٣٨-٣٩، ٦٧-٦٨، ٨١، ٨٧، ١٠٤، ١١٩، ١٤٧.

٢) يؤكِّد مكانة العلاَّمة سليمان بن سالم ثلاثة أمور: الأولى: خطابته بمنبر جامع نزوى، بترشيح من الإمام الخليلي، فصار يخطب فيه، لاسيما حينما يكون الإمام غير موجود. الثاني: اختيار الإمام له ليتولى القضاء

- **الشيخ النحوي الفقيه حمود بن زاهر بن سليم الكندي.** وهو أحد الأعلام الذين تولوا التدريس في جامع نزوى وغيره؛ فقد أرسله الإمام الخليلي ليدرس في بعض البلدان منها نخل. ثمَّ عينه بعد ذلك في جامع نزوى. وعمّر حتَّى تخرج على يديه عدد كبير من العلماء. وممَّن تعلموا على يديه جلُّ طبقة العلماء الذين في سن الشيخ الوالد؛ وكان عابدا ورعا[1].

- **العلَّامة الفقيه الأديب القاضي سعيد بن أحمد الكندي.** وهو جد الشيخ الوالد لأمه. وقد استفاد منه كثيرا. وسمعته كثيرا ما يثني على جلالة علمه وقدره، وأنَّه كان يقرأ عليه، ويسأله. وتولى هذا الشيخ الجليل القضاء للسلطان سعيد بعد أن كان قاضيا للإمام على الرستاق، ونخل، ووادي المعاول. ويتميز بمتانة تكوينه العلمي وحافظته القوية، وكان شاعرًا مجيدًا، ولغويًّا بارعًا، وقاضيًا ألمعيًّا صلبًا في

فترة من الزمن في سمائل، في وقت كانت تشهد سمائل بعض الإشكالات، فنجح في مَهمَّته. الثالث: أداؤه فريضة الحجِّ عن الإمام الخليلي، واختيار الإمام له من سائر أهل العلم. وقد حدثني الشيخ ناصر بن محمَّد المرموري شخصيًّا صائفة سنة ٢٠٠٣م في مليكة بوادي ميزاب، حين رحلت إليها في رحلتي العلميَّة الأولى لها، أنَّهم التقوا بالشيخ سليمان في سفرته التي حجَّ فيها عن الإمام الخليلي، وكان المغاربة انقسموا إلى حزبين: المحافظين والإصلاحيِّين. ولكنَّهم اجتمعوا على الشيخ سليمان مع العُمانيِّين؛ فخطب فيهم، وأمَّهم، ودعا؛ فجمع الله به الجميع. قلت في نفسي: هذا مزيد كرامة للإمام الرضيِّ محمَّد بن عبد الله، وتلميذه الشيخ العلاَّمة سليمان، رحمهم الله جميعا. ويقول الشيخ الوالد نقلا عن الشيخ المرموري أيضا: إنَّ تلك الحجَّة أبرك حجَّة رفعت النزاع بين الفريقين. ويعدُّ الشيخ سليمان أحدَ أهل الحلِّ والعقد. سُجِنَ بقلعة الجلالي، وخرج مصابا بالشلل، قضى ما بقي من حياته على كرسيٍّ، وكنت أذكره حين كنت صغيرا، وكان والدي يزوره، ويأخذنا معه إليه -رحمه الله-. وكانت العين لا تشبع من منظره ومحيَّاه الجميل المليء بالنور والبسمة؛ واليوم حين أذكره أستحضر قول أبي مسلم:

أولئك أشياخي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامِعُ.

يُنظر: البهلاني، أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديّم: ديوان أبي مسلم البهلاني، طَبَعَهُ صالح بن عيسى الحارثي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٢٣٢. ويُنظر ذكر الشيخ سليمان في: الخصيبي: شقائق النعمان، ٣٢٨/١. والسيابي: إسعاف الأعيان، ص٩٠. والحضرمي، منير: مقال المخطوطات بمكتبة الشيخ عبد الله بن سيف بن محمَّد الكندي النخلي (مرقون) ص٢.

١) من أمثلة العلماء الذين درسوا عليه وأخذوا عنه: الشيخ القاضي سيف بن محمَّد الفارسي الفنجاوي، والشيخ الوالد يحيى بن أحمد الكندي، والشيخ القاضي حمود بن عبد الله الراشدي، والشيخ العابد ناصر بن راشد المحروقي، والشيخ عبد الله بن سيف بن محمَّد الكندي النخلي، والشيخ القاضي سيف بن حمدان السبتي، والشيخ القاضي حمد بن زهير الفارسي الفنجاوي، ويخبرني الشيخ الوالد أنَّه كان يأخذ الزكاة؛ ليعطي الشيخ حمود الذي كان فقيرا. فمن زهد الشيخ وتواضعه يقول للوالد: هل تفتيني بأنِّي أستحقُّ الزكاة وترى ذلك؟. ويخبرني أخي الأكبر الدكتور عبد العزيز بن يحيى أنَّه كان يجلس إلى الشيخ حمود، وتعلَّم منه ضمن آخر من درسوا معه، ويقول في وصفه: كان الرائي يرى النور والسناء في وجهه، وهو بهيئته كأنَّك ترى وجه صحابيٍّ. بهذه العبارة سمعت أخي -حفظه الله- يقول ذلك أكثر من مرَّة. الخصيبي: شقائق النعمان، ٣٢٨/١، الفارسي: نزوى عبر الأيام، ص٢٤٣-٢٤٤.

دين الله لا يخشى لومة لائم[١].

- **الشيخ العلَّامة الجليل زاهر بن عبد الله العثماني.** عالمٌ صادع بالحق فذٌّ، زعيم جواد ومحنَّك، إنَّه الشيخ العثماني العلم. ولد ببهلا، ثمَّ انتقل لنزوى، وسكن عقر نزوى. يعدُّ أحد المبرزين في أهل الحل والعقد عهد الإمامين الخليلي والهنائي. وممَّن تربّى، وتعلم، ورقى في العهد الخليلي، تشهد ميادين العلم، والسياسة، والحكم بمكانته. ولي القضاء، فكان من علماء وقضاة الإمام الخليلي. وكان عالما تقيا ورعا عفيفا، غيورا على محارم الله، صادعا بالحقِّ، لا يخشى في الله لومة لائم، له آراء وفتاوى. يعدُّ أحد المؤثرين الكبار في شخصيَّة الوالد؛ ارتبط به ارتباطا وثيقا؛ فكانا مثالا للصَّديقين المتصافيين المتحابين في الله. استفاد الوالد من الشيخ العثماني علما وفكرا. كنت وبعض إخوتي نرى في متانة العلاقة بين الشيخين روحا عجيبة؛ تتدفق خيرا وسلوكا وتأثرا، كل منهما يؤثر في الآخر؛ فكأنهما منهج واحد متماثل يجري في شخصين. فلله تلك المحبة عاشت، ولله تلك المهج تمازجت، ويصعب حصر حجم تلك العلاقة في وصف مكتوب، ولعله أن تتاح فرصة لمزيد الكتابة عنها[٢].

- **الإمام الرضي محمَّد بن عبد الله الخليلي**؛ لم نورد الإمام الذي ينبغي أن يصدّر ذكره إلاَّ لنجعله مسك ختام شيوخه، ثمَّ إن تأثير الإمام على شخصيَّة الوالد بواسطة مباشرة وغير مباشرة. فأمَّا غير المباشرة فعبر كلِّ الشيوخ المتقدِّم ذكرهم؛ إذ إنَّهم تربَّوا في العهد الخليلي، وكان أكثرهم تلاميذا مباشرين له، ثمَّ أخذ عنهم الشيخ؛ فتلقى نصيبا وافرا من أثر الإمام عبر الطبقة الأولى من

---

١) يقول الوالد: بأنَّه كان عالما عاملا متواضعا، وأضاف: بأنَّه رآه لابسا ساعة في يده، فقلت: يا أبي هذه الساعة أهل العلم بين قائل بحرمتها في الصلاة، وأنَّها مفسدة لها، أو قائل بكراهتها؛ لأنَّ فيها حديدا يباشر البدن، وأنَّه من حلية أهل النار؛ وأرى لك أن تتركها فقال: إن شاء الله، وتركها. فهذا يدلُّ على تواضعه، ورفيع قدره، وعمله بالعلم، وقبوله ممَّن هو أصغر منه، وأقلُّ علما. هذا ما قاله الوالد نصًّا. يُنظر ورود ذكره في: السالمي، أبو بشير محمَّد بن عبد الله: نهضة الأعيان بحرية عمان، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، د. ت. ص٤٠٠. وناصر، محمَّد صالح، والشيباني، سلطان: معجم أعلام الإباضيَّة - قسم المشرق، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦م، ترجمة رقم (٤٨١). والخصيبي: شقائق النعمان، ٢٦٣/٣. ومجموعة باحثين: دليل أعلام عمان، ص٧٩. والفارسي: نزوى عبر الأيام، ٢١٨-٢٢٠. والسليمي، محمود: أثر الفكر الإباضي في الشعر العماني في القرنين ١٣-١٤، ط١، دار الجيل الواعد، مسقط، سلطنة عمان، ص٢٠٥.

٢) يُنظر بعض ذكر الشيخ العثماني في: الخصيبي: شقائق النعمان، ٣٢٨/١، الفارسي، نزوى عبر الأيام، ٢٤٢-٢٤٣.

تلاميذه. وكذلك أنعم الله عليه بالاستفادة المباشرة من الإمام نفسه، ولكننا لا بد أن ننبه أن الإمام قائدًا وزعيمًا لم يكن يباشر تدريس جميع طلبة العلم مباشرة؛ إنَّما كان جملة من طلبة العلم يحضرون مع العلماء مجلس هذا الإمام؛ فينتفعون بعلمه وتوجيهه. وكثيرا ما يخلط الباحثون، فحين يذكرون أحد حملة العلم في ذلك العصر، يصدرون ذكر هذا الإمام، وكأن الإمام يشرح لكل طالب، ويلقنه درسه. وفي تقديري أنَّ الإمام كان يرعى الحركة العلميَّة، ويتابع حاجات طلاَّب العلم، وله مجلس يحضره العلماء، وسائر الطلبة في الحصن، وكان الشيخ الوالد، وهو طالب يحضر مع زملائه بعض مجالس الإمام، ويصلي الظهر معه مع الطلبة. فهو من طلبة العلم الذين نهلوا وتربوا في أحضان الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي، وقد ذكر بنفسه أنَّه كان يسأله مستنيرا بعلمه[1].

وتبدأ مرحلة العطاء من سن التاسعة عشرة؛ فلنتخيَّل شابًّا جادًّا يُعَلِّمُ في جامع بهلا بطلب من أهلها[2]. وكان الشيخ الوالد في تدريسه بجامع بهلا يبتدئ صباحا بعد طلوع الشمس إلى قبيل الظهر. يجتمع في حلقة الجامع عدد كبير من طلبة العلم، بل يفد إليها عدد من الشيوخ كبار السن؛ مستفيدين من الدروس التي تلقى بها، كالشيخ ثابت بن سرور الغلابي، والشيخ علي بن ناصر المفرجي، وعلي بن محمَّد القمشوعي. وقد تتلمذ على الوالد عدد من طلبة العلم آنذاك، كانوا منتظمين في جامع بهلا: كالشيخ القاضي سعيد بن هاشم الهاشمي، ومحمَّد بن

---

١) للإمام الخليليِّ منزلة سامقة في قلب الوالد، وكذلك الإمام كان يكرم الوالد. وتدلُّ جملة من الأخبار على علاقة المحبَّة والإجلال، ولا يكاد يمرُّ يوم إلاَّ ويذكر الشيخ الوالد الإمام الخليلي، ويترحَّم عليه، ويصفه بعبارات تكشف ما يكنُّ نحوه. ويُنظر مزيد بيان في شخصيَّة الإمام الخليلي وفضله في: السيابي، سالم بن حمود: العرى الوثيقة شرح منظومة "كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة"، نسخة إلكترونيَّة، ص١٦٢. والرقيشي، محمَّد بن سالم: النور الوقَّاد على عَلَم الرشاد، ط١، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ١٩٨٦م، ص٣. والسالمي: نهضة الأعيان، ص٣٧٧. والسليمي، حمد: هداية المبصرين في فتاوى المتأخِّرين، ٥/٢. وفيلبس، وندل: تاريخ عمان، تر: محمَّد أمين عبد الله، ط٥، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٤٨. والسيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٣، ص١٣١ وص٢٢١. هوفمان، مقالات مختارة لفاليري هوفمان، تر: عبد الوهاب الداب، وموحمد ؤمادي، ط١، دار الغشام للنشر والترجمة، مسقط، سلطنة عمان، ص٥٠. والحارثي، سعيد بن حمد: اللؤلؤ الرطب، د. ط، ١٩٨٤م، ص١٧٩-١٨٠.

٢) حدَّثني الشيخ الوالد القاضي علي بن ناصر المفرجي أنَّهم وأهل بهلا سألوا الشيخ سعودا بن سليمان الكندي عن معلِّم وأستاذ يستطيع التدريس في جامع بهلا، إن كان يعرف أحدًا، فوصف لهم شابًّا يتعلم، وهو يتميَّز بالجدِّ، وأشار إليهم أن ينظروه - وكان المشار إليه الوالد يحيى-، فذهب الشيخ عليٌّ ومن معه إلى نزوى سائلين عنه؛ حتَّى لقوه، وتبيَّن لهم حسن تعليمه، وما يحمله من علم؛ فأعجبوا به، وطلبوا منه أن يأتي للتدريس في جامع بهلا، فقبل.

ناصر العلوي، وخليفة بن حمران، وعلي بن حميد القصابي وغيرهم.

وكان الشيخ الوالد يدرّس فيها عدة علوم، ففي اللغة بعض الكتب كشرح ملحة الإعراب، وكتاب بلوغ الأمل في شرح الجمل للشيخ السالمي، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وقد يتوسع في شيء من حواشي ذلك كحاشية الخضري. وفي الفقه يدرس كتبا، كالمدارج، والجوهر، وجامع أركان الإسلام، ومتن النيل. وفي العقيدة بعض الكتب، كبهجة الأنوار، أو بداية الإمداد شرح غاية المراد، وشرح مسند الإمام الربيع. وهذه الكتب وفق شروح الطلاب ورغبتهم في دراستها.

لم يقتصر دور الشيخ في بهلا على التدريس في الجامع صباح كلِّ يوم، بل جمع معه مهامَّ أخرى، فعقب التدريس ينتقل الشيخ معينا لصهره وشيخه الشيخ سعود بن سليمان والي بهلا. وتتنوع المهام التي يشارك فيها من الفترة قبل الظهر إلى غروب الشمس، علما بأن البرزة أو الجلسة المفتوحة للناس من بعد الظهر. وقبيل المغرب تكون وجبة العشاء التي هي الوجبة الرئيسة. وأمَّا بعد المغرب فمجلس العلم الذي يتصدره الشيخ العلاَّمة سعود بن سليمان، ويحضر فيه أهل العلم من بهلا وعدد من طلبته. وفي تلك الفترة استفاد الشيخ يحيى من ذلك المجلس العلميِّ، وقرأ على شيخه علم المعاني والبيان، ومنها كتاب السيوطي "عقود الجمان في علم المعاني والبيان". وقرأ عليه كتبا في علوم الفقه والحديث والتفسير، مع الاستفادة من المناقشات العلمية والأسئلة والأجوبة.

وهناك مهمَّات عمليَّة كان يقوم بها الشيخ الوالد خلال فترة وجوده في بهلا أيَّام ولاية جدي الشيخ سعود بن سليمان؛ إذ كان ينوب عنه إذا غاب، أو سافر إلى نزوى، أو انتدب إلى مهمَّة تحتاج وقتا من قبل الإمام[١].

استمر هذا الدور الكبير يقوم به الشيخ الوالد بإخلاص وتفان. وكان يعطى من الدولة عطاء بسيطا، فيعطى على التدريس عشرة قروش، أمَّا باقي المهام، وهي كثيرة، فلم يتقاضَ عنها عطاء ماليًّا. لكن ما سهل الأمر عليه، هو إقامته في حصن بهلا، وكنت كثيرا ما أسأله عن ذلك، فكان -حفظه الله- يجيب بجواب العفيف، وأنهم كانوا يعدُّون عملهم خدمة للإسلام، وعبادة، وقربة لله، وخدمة لدولة حق

١) ممَّا أفادني إيَّاه سماعا.

وعدل، ولا عجب أن يجيب بذلك، وهو الورع الزاهد الذي سمعت شيخنا سعيد بن حمد الحارثي يقول في وصفه: "لا أعلم أحدا من أهل العلم والفضل أورع وأزهد من الشيخ يحيى من معاصريه".

ويتدرب الشيخ خلال هذه الفترة على مهامَّ إداريَّة وقضائيَّة وسياسيَّة؛ فهو يُعِينُ الوالي القاضي في عمله وينوب عنه، ويرسله في كثير من المهامِّ المتعلِّقة بجمع الزكاة لبيت المال، أو القيام بأحكام، أو مصالحات داخل بهلا وخارجها، وهي كثيرة. وترتبط بها وقائع كثيرة يصعب سردها في هذا الموجز. يقول الشيخ يحيى إنَّه مباشرة من أوَّل فترة وجوده ببهلا أخذ يتدرب على مهام الولاية، وبعد أقل من ثلاثة أشهر اُنْتُدِبَ الشيخ سعود من قبل الإمام لمهمة استمرت شهرين، فناب عنه في الولاية. وكان سنه حينذاك بين التسعة عشر عاما والعشرين.

إن كل ما أردنا التنبيه عليه هنا، هو أثر العهد الخليلي في تجربة الشيخ إجمالا؛ لنرى في تفصيل شهادته ورؤيته مزيد بيان بما يجلي بعض الوقائع والأخبار.

وهكذا تجلى لنا مَّما تقدم أن الشيخ الجليل الوالد يحيى بن أحمد الكندي ثمرة من ثمار عهد الإمام الخليلي. وهو ربيب مدرسته وعصره، وقد تنوعت وجوه الاستفادة عنده من العهد الخليلي: سواء على مستوى تأثره بالأعلام الذين تربوا في الحضن الخليلي المباشر، أو تلقيه العلم مباشرة من الإمام الخليلي نفسه. وقد تمازج التأثير لديه بين التعليم، والتربية، والتجربة المستفادة من هذا العهد، وزاد التجربة نضجا توليه أعمالا تخدم دولة الإمام الخليلي.

شخصيَّة الإمام الخليلي العلمية:

نشأ الإمام نشأة علمية وإيمانية صالحة، نشأة البعد عن بريق المناصب، وتقريب أهل الدنيا والسياسة والحكم. ومن ذلك أنَّه حين زار السلطان تركي بن سعيد سمائل، والتقاه والد الإمام الشيخ عبد الله بن سعيد، سأله السلطان عن ابنه محمَّد، وكأنه يريد أن يراه. فلمَّا عاد الأب أخبر ابنه؛ لكن محمَّدا بادر إلى الابتعاد إلى وادي محرم؛ متجنبا مثل هذا اللقاء.

تمتع الإمام بالأهلية العلمية العظيمة؛ وقد سمعت بإشادة الشيخ يحيى بجلالة علم ونباهة الإمام الخليلي، وقوة ملكته العلمية، وتميزه في الفهم للفقه، وسعة

العلم. وكثيرا ما سمعت الشيخ الوالد يصف الإمام بأنَّه أعلم أهل عصره، وأكثر العلماء آنذاك علما وفقها.

وكان الإمام درَّاكة ذا فهم ثاقب في إدراكه؛ يحكي الشيخ الوالد -حفظه الله- أنَّه جاء من بهلا مرة مُرسَلا من جدي الشيخ سعود بن سليمان الكندي، وكان آنذاك واليا وقاضيا على بهلا، وكان قدومه في رمضان، وصلى الفجر خارج الأميال بين بهلا ونزوى، ثمَّ ذهب إلى الإمام، وجلس معه في مجلس البيت الخاص به في الحصن. ولما أراد الانصراف من عنده، سأله الإمام أمفطر أم صائم؟ فقال الوالد: كل الأمر يستوي؛ فقال الإمام: إنَّه على ما أراك أنك مفطر على مذهب شيخك أبي سليمان -يعني الشيخ سعود بن سليمان الكندي-، ثمَّ قال له: نعم مفطر. وأراد الوالد بيان سبب فطره، فقال له الإمام: لا يحتاج الأمر إلى البيان والاعتذار؛ فأنت يسعك ويجوز لك ذلك؛ قال الشيخ الوالد: ثمَّ طلب منه البقاء، وجاءه بثمر الأنبا، وسكين لقطعه وصحن. يقول الشيخ الوالد: وكأني أبصر تلك السكين، وهي بيضاء. ولما أخبرت الشيخ سعودًا بالأمر، قال: تلك سكين خنجره؛ فهو لم يشأ إلاَّ أن يسرع لك بها، ولا يشتغل بسكين أخرى؛ فيتأخَّر عليك. وفي القصة دليل على لطافة التعهُّد من الإمام، ولطيف الرعاية لطلبته ورعيَّته وعمَّاله[١].

وتميَّز الإمام برشاقة وعذوبة عباراته وكلامه. ويمثِّل الوالد -حفظه الله- ببعض عباراته المعبرة عن سلاسة بيانه، وجزالة عبارته؛ فيذكر نماذج من ذلك. وممَّا سمعتها شفاهة منه أكثر من مرَّة رسالته لبني حراص من أهل نخل بعد قتل شيخهم خلفان بن ثنيان الحراصي، وفيها يقول: "بلغني موت شيخكم خلفان، وقد قدِمَ إلى ما قدّم، وقد قدمَ إلى ربٍّ كريم،... ليس الكريم على القنا بمحرَّم"[٢]. ويَنوِّه الشيخ يحيى -حفظه الله- بما في عبارات تلك الرسالة من حسن السبك، وما تضمَّنته من العبارات التي تستلُّ سخيمة قلوب أهله. وهناك

---

١) كان سيِّدي الوالد يقصُّ الخبر وبأريحيَّة وحنين خاصٍّ.

٢) هذه العبارة هي عجز بيت من معلقة عنترة، والبيت هو:

فشككتُ بالرُّمحِ الأصمِّ ثيابهُ ليسَ الكريمُ على القنا بمحرَّمِ.

يُنظر: الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين: شرح المعلَّقات السبع، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٤٦.

تفصيلات سترد في أمر خلفان هذا. ويذكر الوالد أنموذج رسالة أخرى، وهي جوابه على رجل سجن من نزوى اسمه محمَّد. وكان قد سجن معه شخص آخر. فقام الناس يشهدون للثاني بحسن السيرة، ويطلبون له العفو، فعُفي عنه، ولم يسأل أحد عن محمَّد هذا؛ فكتب محمَّد للإمام يطلب العفو، وأن صاحبه عفي عنه. فأجابه الإمام بقوله: "يا محمَّد لو تجنبت الشبهات عدتك العقوبات"[١]. وهو جواب عظيم في ثوب قاعدة فقهية جليلة أو ضابط فقهي دقيق. وكذلك رسالة الإمام لذرية رجل من بني إسماعيل متوفى من نزوى يعتذر عن الحضور للعزاء وفيها: "ولا يمنعنا من الوصول إلاَّ أن ذلك ليس من سنة الرسول"[٢].

ومن دقة الإمام العلمية مراعاته عدم نقض حكم وال أو قاض، طالما بُنِيَ على أصل وقول من أقوال العلماء، وتقديم صحة النظرة العلمية، والصواب في الحكم القضائي، ودفاعه عن قضاء القاضي، وعدم قبوله نقضه، ما ظهر أنَّه اجتهد، وفق القواعد المقررة طالبا الحق. ومن نماذج ذلك مسألة حكم الشيخ الرقيشي في أهل السليف. إذ لما تمرد من تمرد من أهل السليف على طاعة الشيخ الرقيشي، حكم الشيخ ببغيهم، واستأذن الإمام في حربهم، وتمكَّن منهم[٣].

---

١) "لو تجنبت الشبهات عدتك العقوبات" عبارة أشبه بالضابط الفقهي في باب الأحكام والتوقِّي من الشبهات؛ مصدرها حديث: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنَّ كثير من الناس، فمن اتَّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه". ينظر: البخاري: الجامع الصحيح، كتاب البيوع، باب الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشتبهات، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٩٠٠م، ج٤، ص٢٩٠. وكأنَّ الإمام –رحمه الله– يعتمد على هذا الحديث وعلى قاعدة فقهيَّة شهيرة موجودة في كتب المذهب، وهي: "المُؤمِنُ وَقَّافٌ وَالمُنَافِقُ وَثَّابٌ"، فأجاب الرجل بأنَّ السجن قد تسبَّب بنفسه فيه؛ إذ لم يتجنَّب الشبهات، ولم يكنَ كالمؤمن الوقَّافَ. ينظر ورود قاعدة: "المُؤمِنُ وَقَّافٌ..." في: الكندي، أبو عبد الله محمَّد بن إبراهيم: بيان الشرع، ط١، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ١٩٨٤م، ج٣، ص١٠.

٢) هذه النماذج ممَّا سمعته عن الشيخ الوالد مرات عدة.

٣) تفصيلات خبر السليف وحربهم عام ١٣٦٠هـ، ينظر في:

- السالمي، محمَّد بن عبد الله: نهضة الأعيان، ص٣٣٠.

- الحارثي، سعيد: اللؤلؤ الرطب، ص١٢.

- الرواحي، خلفان بن محمَّد، ترجمة عن سيرة الشيخ الرقيشي (مخطوط) مكتبة السيد بدون رقم تصنيف، ص١٣.

- الرقيشي، سالم بن محمَّد بن سالم: البحر الفياض لسيرة علم من أعلام عمان ممَّن ساروا على نهج عبد الله بن إباض، بحث غير منشور، ص٢٢-٢٣.

وقدَّم أهل السليف إلى الإمام شكوى ضد الشيخ الرقيشي على حربه عليهم، وما فعله بديارهم؛ وكانوا معضدين بمؤيِّدين من بعض العلماء وشيوخ القبائل. وكان الناطق بلسانهم الإمام غالب بن علي الهنائي؛ فَدُعي الشيخ الرقيشي للنظر فيما قام به. وبعد النظر في القضيَّة، وإثبات الشيخ الرقيشي صحة ما قام به بالكتاب والسنَّة، حكم الإمام بأنَّ ما قام به الشيخ الرقيشي من حكم ببغي أهل السليف، وهدم حصنهم، وبيوتهم صواب وحقٌّ، وأمر بضمان بيت المال لما أتلف من طريق الخطأ في هذه الحرب.

وهكذا قصَّة اعتراض بعض شيوخ بني هناءة على الشيخ سليمان بن حمير، وأنَّه يتواصل مع السعوديين، والمطالبة بمثوله عند الإمام، واشترط سليمان بن حمير في اللقاء أن يكون في الجامع؛ وأيده الشيخ الرقيشي- أول الأمر- في حضور الجامع. وجاؤوا مع جمع كبير، فوجدوا أن بني هناءة قد ملؤوا المكان، وبقي للشيخ سليمان مكان، ومعه ثلاثة أنفار، ولم يجد الرقيشي مجالا معهم، فقال الإمام: تكلموا، فقال الباقون: تكلَّم أنت أيُّها الإمام، فقال الإمام للشيخ سليمان: إن المسلمين ينقدون عليك كذا وكذا. فلمَّا بدأ الكلام جاء الرقيشي يزحف على ركبتيه، ويداه أحدهما في النصلة، والأخرى في التفق يتَّكئ عليه، ثمَّ نَفَّسَ ووسَّع له الناس، وانطلق ينادي: "أيُّها الإمام - يكرِّرها ثلاثا- هذا ليس مجلس عتاب، بل مجلس فتنة، أنا سآتي بالشيخ سليمان متى تريده، فاصرف الناس، ويبقى منهم من يتكلَّمون في الأمر، وانتقل إلى الحصن". فاستجاب الإمام؛ إذ أدرك مرمى تحذير الشيخ الرقيشي، وهو الفَهِمُ الدرَّاكة. يقول الشيخ الوالد: "إنَّ ذلك تصرُّف حكيم من الشيخ الرقيشي؛ لأَنَّ الجامع ممتلئ بالبشر، ولربَّما الفتنة مبيَّتة، ويقصد بها الإمام نفسه".

ويروي الشيخ الوالد مشهد اجتماع الجامع، وكان ذلك في صغر سنِّه بدايات دراسته في الجامع؛ وقد غصَّ الجامع بالمجتمعين؛ وكان بعض المتربِّصين بالفتنة قد حضروا، وكيف دخل الشيخ الرقيشي يزحف بقوَّة من تحت الناس حتَّى يصل إلى الإمام، وكان جادًّا في طلبه من الإمام فضَّ الاجتماع، فأمر بفضِّ الجمع،

- الحوسني، زاهر بن عبد الله: سيرة الشيخ محمَّد بن سالم الرقيشي، حياته وآثاره العلمية، بحث تخرُّج معهد العلوم الشَّرعيَّة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، نسخة مرقونة.

وانتقل إلى الحصن، ثمَّ سمع من الأطراف بهدوء ورويَّة[1].

واشتهر الإمام بجدِّه في طلب العلم، وحثِّه على ذلك. وقصَّته المعبرة عن عزيمته في طلب العلم مشهورة، تناقلها لفيف من الناس. وهي أنَّه جلس مرَّة على السراج في المسجد للمطالعة، وبعدما خرج الناس، جاء المؤذِّن على رأسه فقال له الإمام: ماذا تريد؟ قال: أريد إطفاء السراج، قال له الإمام: سأطفئه أنا، أريد أن أطالع قليلاً. فذهب الرجل، ونام، وكانت ليلة من ليالي الشتاء، ثمَّ قام للفجر، وذهب إلى المسجد ليؤذن، فرأى الإمام مكانه، ووقف الرجل على رأس الإمام. فلمَّا رآه قال له الإمام: قلت لك أنا أكفيك إطفاء السراج، فاذهب أنت! قال الرجل: يا سيِّدي، ذهبت أنا، ونمت، والآن جئت لأؤذِّن الفجر. فقال الإمام: ما شعرت بذهاب الليل، ثمَّ ترك الكتاب.

ويذكر الشيخ الوالد نصيحته بتكرار الدرس، وأنَّه كان يرشدهم إلى تكرار الدرس خمسين مرَّة بعد وعيه وحفظه؛ ليصبح راسخا لا يزول، ولو تقادمت الأيَّام. وكان الإمام يعتمد على بعض العلماء في مطالعة المسائل، خاصَّة التي تستجد؛ فيطالعون الكتب بحثا عنها أو مثيلها. ويذكر الشيخ الوالد مقارنة الإمام بين أسلوب الشيخ منصور بن ناصر الفارسي، والشيخ سعيد بن ناصر السيفي؛ وأن منصورا حين يُكَلَّفُ بمطالعة مسألة، يشتغل بقراءة ما حولها، وما قبلها؛ حتَّى يصل إليها، وأمَّا السيفي فيجعل همَّه تلك المسألة، لا يشتغل بغيرها؛ حتَّى يجدها. ولا ريب أنَّ متانة تكوين الإمام العلميِّ جليَّة واضحة. ويذكر الشيخ الوالد شهادات كبار علماء عصره بجلالة علمه، وذكائه الوقَّاد؛ كشهادة الشيخ السالميِّ والمالكي والباروني التي سيرد عرض خبرها، وغيرهم في سعة علمه ورسوخه[2].

وكان الإمام يشجِّع طلبة العلم، ويصبر عليهم؛ ويحكي الشيخ الوالد خبر سهر الإمام، وصبره على رجل كان يكرِّر في الليل أبياتا من جوهر النظام، فلمَّا أصبح الصباح، سأل الإمام ذلك الرجل عن مسألة؛ صاغ فيها الإمام المسألة نثرا للأبيات التي كان يقرؤها الرجل ليلا؛ فقال الرجل - وكان ضعيف الفهم-: أيُّها

---

١) من مروياتي عن الشيخ الوالد سمعتها في أوقات مختلفة.

٢) ينظر مزيد تفصيل لبعض الشهادات لمكانة الإمام الخليلي العلمية في: الخليلي محمَّد بن أحمد، الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي ومنهجه الفقهي (النسخة المرقونة)، ص٥٤.

الإمام هذه مسألة صعبة؛ فقال له: هذه المسألة التي كنتَ تقرؤها ليلا، ولم تجعلنا نرقد. يقصد أنَّه أزعجه بقراءته لها بصوت؛ حتَّى أطارت النوم عن الإمام؛ لقرب الغرف، وسماع الصوت. ومن صور تشجيعه لحامل العلم قصَّة الشيخ سعود بن سليمان الكندي. فعندما خرج الشيخ سعود في قضيَّة وقعت في الجيلة، أمر الإمام مجموعة من القضاة أن يذهبوا إلى الجيلة، ومنهم الشيخ سعود. وكانت الطريق تمر عبر عقبة بين سمائل والجيلة، وكانوا صياما نهار رمضان؛ فتعبوا تعبا شديدا. فتمنى الشيخ سعود لو يجدوا غدير ماء، وفعلاً وجدوا غدير ماء بعد العقبة، فقال الشيخ سعود لأصحابه: من كان منكم مسافرًا؛ فليفطر، ومن كان موطِّنًا فليستفت قلبه، فإن كان يستطيع التحمُّل، فلا يفطر. فأفطر المسافرون فقط. وحين بلغ الإمام الخبر، وعند عودة الشيخ سعود، سأله الإمام: أفطرتم. قال له: نعم. قال الإمام: ولكنَّكم كنتم على نيَّة الصيام، فمن أين لك أن تقول للصائمين أن يفطروا، وهم لم يبيِّتوا النيَّة من الليل؟ فردَّ الشيخ سعود للحديث: "صام النبيُّ ﷺ وصام أصحابه حتَّى بلغوا الكديد، فأفطر، وأمر أصحابه بالإفطار"[١]. فظاهر الحديث أنَّهم لم يبيِّتوا نيَّة الإفطار من الليل، ولكنَّهم أفطروا لَمَّا رأوا المصلحة في ذلك، وهم معذورون لأنهم مسافرون. فقال له الإمام: "ليهنك العلم". وهذه القصَّة كما يحكيها الشيخ الوالد تكرَّر مثلها مرتين للشيخ سعود وتشجيع الإمام له[٢].

وهذا التكريم من الإمام كان عامًّا لحمَلة العلم، وتقديمهم على مشيخة القبائل؛ تكريما للعلم والدين. وممَّا رواه الشيخ الوالد في ذلك خبرين: الأوَّل في تقديم الإمام للشيخ أبي الوليد سعود بن حميد بن خليفين، واعتبار ما يقضيه في قومه، وأنَّه كان إذا قطع أمرا في المضيبي أمضاه الإمام. وإذا جاء أكابر الحبوس أو جماعتهم بأمر، ينظر هل معهم الشيخ أبو الوليد. والخبر الثاني في إحدى زيارات

---

١) الحديث أخرجه الربيع في مسنده بلفظين ومنهما: "أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ جَابِرِ بنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ جُمْلَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُفْطِرُوا، قَالَ: "تَقْوِيَةً عَلَى أَعْدَائِكُمْ"، فَصَامَ هُوَ وَلَمْ يُفْطِرْ. قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ أَوْ مِنَ الْعَطَشِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُنَاسًا صَامُوا حِينَ صُمْتَ، قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ الْكَدِيدَ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَشَرِبَ، فَأَفْطَرَ النَّاسُ مَعَهُ". ينظر: الفراهيدي، الربيع بن حبيب: الْجَامِعُ الصَّحِيحُ مسند الإمام الربيع بن حبيب، كِتَابُ الصَّوْمِ، ٤٩ بَابٌ فِي صِيَامِ رَمَضَانَ فِي السَّفَرِ، ١/ ٧٩ (٣٠٦).

٢) ويُنظر ورود هذه القصة برواية سماحة الشيخ أحمد الخليلي في: الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي ومنهجه الفقهي لمحمَّد بن أحمد الخليلي (مرقون)، ص٥٣.

ابن أخي الإمام الشيخ عبد الله بن علي، فربَّما فسح أحد العلماء أو طلبة العلم له مجالا في المسجد في السترة خلف الإمام في الصلاة، فلمَّا قام الإمام، وقبل تكبيرة الإحرام رأى ابن أخيه؛ فأشار إليه بترك السترة، ولام العلماء الذين عند السترة في هذا الأمر. وممَّا وجَّههم فيه: "إنَّني لا أمنعكم من تقديم عبد الله في المجلس أو القهوة". فكان الإمام ﷺ لا يقبل في السترة إلاَّ العلماء. ويذكر الشيخ الوالد أنَّك تجد صفوف العلماء وطلبة العلم خلفه في الصلاة[1].

شخصيَّة الإمام الخليلي السِّياسيَّة والإداريَّة من خلال بعض وقائع عصره:

بعد استشهاد الإمام الرضيِّ سالم بن راشد الخروصي[2] اتَّجهت الأنظار لترشيح خَلَف له، وكان أولى الناس لخلافته في منصب الإمامة هو الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي، ويذكر الشيخ الوالد -حفظه الله- أنَّ بعض أهل العلم اجتمعوا في الشرقيَّة؛ لمبايعة إمام، وكان بعضهم قد رشح هلال بن علي الألبوسعيدي؛ فعلَّق الشيخ الجحافي أحد شيوخ القبائل في الشرقيَّة بأنَّ إمامة بهذا الشكل أشبه بإمامة البدو[3]، وأنَّه ينبغي المسير إلى نزوى - معقل الإمامة- ومبايعة الإمام هناك بحضور الجميع من علماء وزعماء قبائل؛ فاتجَّهوا إلى نزوى. وفي اجتماعهم في نزوى يفيد الشيخ الوالد أنَّ الإمام محمَّدا لم يكن يدري أنَّهم سيقدمونه، ولربَّما

---

١) ممَّا سمعته من رواية الشيخ الوالد.

٢) يُنظر ترجمة وحياة الإمام الرضي سالم بن راشد الخروصي -رضي الله عنه وأرضاه- في:

- السالمي: نهضة الأعيان، ص٢٣٥.

- مجموعة مؤلفين: دليل أعلام عمان، ص٧٦.

- الفارسي: نزوى عبر الأيام، ص١٩٨-٢٠١.

- الرواحي، سالم بن محمَّد: الدعوة الإسلاميَّة في عمان في القرن الرابع عشر الهجري، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، رسالة ماجستير، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٠٢.

٣) تروى هذه العبارة عن هذا الشيخ وهو شيخ وهيبة، ويروي سيدي الوالد -أيضا- أنَّ العبارة قالها الشيخ الفقيه محمَّد بن سالم البراشدي. ويظهر أنَّ الشيخ الوالد مدقِّق لروايته هذه، بدليل أنِّي سمعته أكثر من مرَّة، وقد سمعت الخبر من غيره -أيضا- ممَّا يؤكِّد صحَّة هذا الكلام. وتذكر في ذلك -أيضا- رواية أخرى: "أنَّ سلطان بن منصور الغفيلي قال لهم: عندي شور بدوي (أي رأي بدوي) اسمعوه، ثمَّ الأمر إليكم، إن بايعتم الإمام هنا، ثمَّ ذهبتم إلى نزوى، لن يعجب شركاؤكم هناك، وسيقولون: هذه إمامة هناويَّة؛ فالأفضل أن تبايعوا الإمام هناك؛ فاستحسنوا رأيه". يُنظر: الخليلي، محمَّد بن أحمد: الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي ومنهجه الفقهي، (مرقون) ص١١.

فوجئ بالأمر، وأنَّ هناك اجتماعات جانبيَّة حصلت قبل البيعة العامَّة، وفي بعضها تمَّ التشاور، وترشيح الإمام الخليلي[١]، ثمَّ حصلت البيعة العامَّة في جامع نزوى يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ذي القعدة من عام ١٣٣٨هـ بحضور أهل الحل والعقد والعلماء والأعيان؛ فبايعوا الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي[٢]. ولم يحضر الشيخ سليمان بن حمير البيعة أوَّل الأمر؛ لأنَّه كان صغيرا حينذاك، إذ كان سنُّه ١٤ سنة، ولكنَّه - كما أفاد الشيخ الوالد- صرَّح بأنَّ مرشَّحه من يرتضيه الشيوخ العلماء الثلاثة: أبو زيد الريامي، ومحمَّد بن سالم الرقيشي، وزاهر بن سيف الفهدي، وحين حضر للبيعة اصطحب معه عددا من الجماعة الكنود في مقدمتهما الوالدان الشيخان علي بن ناصر بن علي الكندي، وسليمان بن عبد الله بن محمَّد الكندي. وكان يشاور الوالد عليًّا في عبارة البيعة الأنسب له أن يقولها؛ إذ كان صغير السن، فأشار إليه أن يقول: إنِّي أبايع على ما كان عليه أبي من نصر إمام المسلمين ودولة المسلمين[٣].

يعدُّ الإمام شخصيَّة سياسيَّة فذَّة جمع بين صفات الحاكم العادل القويِّ العالم، وهو من الحائزين على لقب الإمام القويِّ، وهذا واضح في صيغة بيعته. ولا ينال هذه المرتبة وفق قواعد المذهب الإباضيِّ إلاَّ من بلغ مرتبة كبيرة في العلم. وكان الإمام سياسيًّا محنَّكا، عظيم الدراية، لبق التصرُّف، يتمتَّع بالحنكة والدهاء؛ ويؤكِّد الشيخ الوالد هذا الوصف، ويضرب مثلاً قصَّتين تؤيِّدان ذلك:

الأولى: قصَّة الشيخ سليمان بن عبد الله الباروني، والشيخ عيسى بن صالح. وكان الباروني قبل فترة وصف الإمام حين سأله الشيخ عيسى: كيف وجدت الإمام بقوله: "أعلمُ مَن رأيتُ، وأكرمُ مَن رأيتُ، وأدهى من رأيتُ". فقال الشيخ عيسى: "أعلم وأكرم نعم، وأمَّا أدهى؟" فكأنَّه تحفَّظ فيها. ومرَّت الأيَّام وشاء الله حين أتى الشيخ عيسى متكلِّما في أمر عسكر الإمام من بني رواحة، كان الشيخ الباروني حاضرا. فيروى عن الشيخ عيسى قوله: "كنت قد أعددت كلاما كثيرا، فلمَّا دخلت

١) ترشيح الإمام الخليلي والنص عليه، تبنَّاه عدد من العلماء، ثمَّ أجمعوا عليه، وفي مقدِّمة العلماء الشيخ عيسى بن صالح، والشيخ أبو زيد، والرقيشي، وغيرهم، وقد أفادني الشيخ الوالد بذلك، وهو مذكور في بعض المصادر.

٢) يُنظر: السالمي: نهضة الأعيان، ص٣٠١.

٣) ممَّا أفادني به الشيخ الوالد ورواه.

نزوى نقص شيء منه، ولَمَّا قابلت الإمام نقص منه شيء". ولَمَّا اجتمع بالإمام فتح الحديث بشأن بني رواحة، وأنَّه ينتقد على الإمام تقريب بني رواحة، وهم جماعته عن غيرهم من القبائل. فأجابه الإمام بعد أن أنهى كلامه: "هل أنت يا شيخ عيسى ما زلت على البيعة؟". قال: "نعم". قال له: "عزيمة منِّي عليك أن تبقى وجماعتك، وأنا أرخِّص بني رواحة"[1]. ثمَّ ذهب الإمام إلى داخل البيت كأنَّ أحدا دعاه، فقال الباروني للشيخ عيسى: "أمَّا قلت لك: أدهى من رأيت، فلم تقبل؟ ما زاد أن أجابك على كلامك الكبير بكلمتين "ابقَ، وأرخِّص بني رواحة"، وأنا وأنت والجميع يعرف أنَّك لا يمكن أن تبقى"[2].

ولا ريب أنَّ الشيخ الباروني الزعيم المحنَّك الذي طاف الأقطار، ولقي الملوك والقادة والعلماء والمفكرين، لاسيما سلاطين بني عثمان[3]، ثمَّ يقول: أدهى من رأى، وأعلم من رأى، وأكرم من رأى فتلك شهادة عظيمة، خاصَّة كما قيل إنَّ الباروني سمع أهل المغرب يحكون عن الإمام وعلمه ودهائه وكرمه، فلمَّا جاء صَدَّق النظرُ الخبرَ.

الثانية: ومن القصص التي تنبئ عن حنكة الإمام ودهائه، وحسن تصرُّفه وسياسته وكياسته، ما رواه الشيخ الوالد من قصَّة مطلب عزل خالد بن هلال الهنائي عن ولاية منح؛ فقد جاء الشيخ سليمان بن حمير، والشيخ ياسر المجعلي الجنيبي، وكلاهما من رؤوس شيوخ القبائل، يطلبان إقالة وعزل خالد بن هلال عن منَح، فقال لهما الإمام أن يعاوداه لهذا، ولم يستعجل الجواب، وإن أضمره سياسة. وفي اليوم الثاني قال لهم: الوالي أحد الثلاثة، ولم أر أحدا يصلح إلاَّ أحد الثلاثة، إمَّا أنت يا شيخ سليمان، وإمَّا أنت يا شيخ ياسر، وإمَّا الشيخ خالد، فأسقط

---

١) يقول الشيخ الوالد: سألت بنفسي بني رواحة عن رعايتهم للإمام، وقيامهم بالمهامِّ التي يقومون بها من حراسة، وحماية للإمام، والقيام بما يحتاجه، فقالوا: كنَّا قمنا لَمَّا أكثر الناس من الحديث في هذا الأمر على التناوب على خدمة الإمام، بعضنا يذهب ليكسب لعياله، ثمَّ يعود ليأخذ نوبته، ويذهب الآخرون للكسب على العيال، ثمَّ يعودون وهكذا. وقالوا: لن نترك الإمام ورعايته فهو أبونا. هكذا روى لي، فلله درهم ما أوفاهم، وهم جمرة العرب وشجعانهم.

٢) ممَّا أفادني به الشيخ الوالد ورواه وسمعته منه مرارا. وأمَّا السبب أن الشيخ عيسى لا يستطيع أن يبقى في نزوى، فلأنَّ جماعته والقبائل التي تحت مسؤوليته، سيصبح الكثير منها معه في نزوى، وهذا ما لا يستطيعه ولا يتحمَّله، ويصبح الأمر أعسر على الدولة من مجموعة بسيطة من بني رواحة تقوم بالمهامِّ الموكلة إليها.

٣) البطل المجاهد سليمان بن عبد الله بن يحيى الباروني. يُنظر ترجمته وتفصيلات حياته في: أبو اليقظان، إبراهيم: سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، كل صفحات الكتاب.

في يدهما، واعتذرا بعدم استطاعتهما(١). وعند التأمل هما لا يستطيعان ذلك؛ فالشيخ سليمان لا يقبل؛ لأنَّه يرى أمره أكبر من ولاية منَح، بل إنَّه في مشيخته لا يحتاج إليها، وأمَّا الشيخ ياسر فربما وضعه مثل وضع الشيخ سليمان، وأكثر من ذلك أنَّه سيضطرُّ أن يكون كابحا لجماعته كالشرطيِّ عليها؛ فيكون في موقف لا يحسد عليه، فهو لن يقبل. وهكذا اعتذر كلاهما، وسقط المطلب، وتحقَّق مراد الإمام؛ فانظر إلى دهاء الإمام وحنكته ولباقة تصرُّفه!.

يجمع الإمام في شخصيَّته السِّياسيَّة بين المرونة والحزم معًا، ففي حال أن يكون الأمر واسعا تجده مرنًا؛ ولكنَّه في حال وجد تفريطا في حقٍّ يجب مراعاته رأيتَه في الحزم شهابًا متَّقدًا. ولا ريب أنَّ هذا النوع من الحزم في الحقِّ وإقامة حدود الله، سبب ما تميَّز به عهده من أمان وطمأنينة؛ فقطع الفساد، وصار كلُّ مفسد يخشى على نفسه، غير آمن. ومن نماذج تجارب التمازج بين الحزم والحسم واللين في الحوادث والوقائع ما سيلي ذكره.

مسألة حصن الزامة:

لقد طرحت مسألة حصن الزامة في فترات مختلفة، والحقُّ أنَّ الشيخ الوالد أحد أهل العلم الذين عايشوا تفصيلات هذه القضيَّة لم يتح الزمان بنشرها، وقد ذكر بعض أخبار هذا الموضوع ببعض التفصيلات، والتي يحسن بيانها في هذا المقام:

أوَّلا: الأحكام الصادرة في هدم بيت حصن الزامة، والتي نورد طرفا من خبرها في هامش البحث(٢)، ولفهم الأذى الحاصل من الحصن؛ سنبيِّن في هامش البحث طبيعة الحصن وبناءه وطبيعة الأذى الحاصل منه(٣).

ثانيا: استمرار الصراع بين بني هناءة وبني شكيل حول الأذى الحاصل من

١) ممَّا أفادني به الشيخ الوالد ورواه وسمعته منه مرارا.

٢) يذكر سيِّدي الوالد -حفظه الله- أنَّه تعدَّدت أحكام العلماء في ضرورة هدم بيت الزامة؛ فهناك حكم عن الشيخ صالح بن علي وهكذا حكم أيام الإمام سالم ثمَّ تجدد الحكم ونودي بالهدم أيام الإمام الخليلي أكثر من مرة.

٣) بيت الزامة بناه الشيخ هلال بن زاهر الهنائي في موضع ما بين الغافات وسيفم من أعمال بهلاء، يشرف على فلج يسمى بوغيضة، يمر على المكان، ويسقي لبني شكيل. ويسبب بيت الزامة ضررا؛ لسقوط الأوساخ، والمخلفات من الحصن على الفلج، وظل النزاع بين بني هناءة وبني شكيل فترة من الزمن بسبب بيت الزامة.

حصن الزامة، وقد عايش الشيخ الوالد -لَمَّا كان مساعداً لوالي بهلا- جزءا من ذلك، وشارك في محاولات التوفيق بين الطرفين. ومن نماذج ذلك ما رواه أنَّ الشيخ سعود بن سليمان الكندي والي بهلا بعثه في إحدى المرَّات ليلة العيد إلى بني شكيل وبني هناءة في الغافات. قال: فجئنا؛ فصاح الصائح، والنقع مستمرٌّ، فقلت لأصحابي: انزلوا عن رواحلكم، وسوقوها بهيئة تتجنَّبون الرمي، وتبعثون الاطمئنان أنَّكم قادمون مسالمين. يقول الوالد: ونزلنا عن الرواحل، وما زال الضرب مستمرًّا، ولكنَّه ضرب خبط لا ربط، أي للتخويف فقط. ثمَّ قلت لهم: نَوِّخُوا الركاب، واقلعوا الفُرش منهنَّ؛ فسكن الضرب. وبعد قليل ظهر الشيخ عبد الله بن زاهر الهنائي، فسألَنا عن سبب قدومنا، قلنا له: بعثنا والي بهلا لنوقف ما بينكم وبني شكيل، وهذه أيَّام عيد، ولها حرمة ورعاية. فقال: ما بيننا وبينهم شيء، فقلت: بعثنا الشيخ سعود لأبيك، ثمَّ وصلنا إلى الشيخ زاهر. فقلنا له ما بُعثنا به، وبعد محاولة وتشجيع لوقف الضرب بينهم وبني شكيل، قلنا له: هذه أيَّام عيد وبنو شكيل أولادك، وإنَّنا نسعى لأربعة أيَّام يأتي بعدها الشيخ سعود بنفسه يسعى بينكم ويتمِّم. قال الوالد: فلمَّا بدأنا الحديث بادر عبد الله بالجواب، فقال: ولا لحظة، فقلت له: كنت تقول إنَّه ما بينكم وبينهم شيء؛ واشتدَّ في الكلام. فقلت له: إنَّنا بَعَثَنَا الشيخ سعود للشيخ زاهر، فقال له أبوه: يا عبد الله القوم جاؤوني. ولم يقبل زاهر أكثر من ثلاثة أيام، واتفقنا على أيام العيد الثلاثة؛ إذ لم يقبلوا فوق ذلك. وقالوا: خذوا الكلمة من بني شكيل، فقال الشيخ الوالد لهم: أنا ضامن لكم بني شكيل، وحينذاك أرسل زاهر لأهل المقابض في الجبال أن ينزلوا فنزلوا. قال الوالد: فلمَّا فرغنا من عندهم، توجَّهنا إلى بني شكيل؛ فاستقبلونا، وأخبرناهم بالأمر؛ فرحَّبوا بذلك كلَّ الترحيب، وفرحوا بالاتِّفاق. والحمد لله أمن الناس بعضهم لبعض. ثمَّ عدنا لبهلا.

وبعد أيَّام العيد سعى الشيخ سعود للتوفيق بينهم والصلح. وهذا أنموذج واحد من حلقات حلِّ الصراع الذي كان محتدما. ولَكَم سمعت الشيخ الوالد يقول: على قوَّة بني هناءة، وشجاعتهم، واتساع بلدانهم إلَّا أنَّ بني شكيل كانوا صلبين في مواجهتهم، ويقول عبارة سمعته يكرِّرها وهي عن تجربة: "بنو شكيل حديد"[1].

١) ممَّا سمعته عن الوالد وحفظته، والحقُّ يعدُّ راوية حافظا ومستودع علم واسعا.

وقد شهد الشيخ الوالد هذه المسألة بنفسه، فهو شاهد عصر وثيق فيها. وسنورد قصَّة هذه النهضة ببعض تفصيلاتها كما حدَّثنا بها: يروي الشيخ الوالد أنَّ الإمام أرسل بعزمه المجيء إلى جدِّي الشيخ سعود والي بهلا. فاهتمَّ جدِّي للأمر؛ لأنَّه يريد أن ينزل بحصن بهلا، ويحتاج أن يدبِّر له مكانا ينزل فيه. فلمَّا رأى الوالد الاهتمام في وجه الشيخ سعود، وأنَّ الأمر حزبه، سأله عمَّا يشغله، وإن كان يستطيع أن يساعده. فأخبره بحاجته لتدبير مكان مناسب لينزل فيه الإمام. فقال له الوالد: ينزل في المكان الذي أسكن أنا فيه في الحصن، قال: وأنت؟ فأجاب: أنا أنظر مكانا أكون فيه، وابنتك - أي أمِّي وهي بنت الشيخ سعود- تذهب معكم، ونرتِّب المكان منه لراحة الإمام؛ وملحق به مكان لبرزة الإمام، أي: مكان جلوسه للناس. فانشرح قلب الشيخ سعود وقال: فرَّجتها[١]. قال الوالد: وكنَّا قد أعددنا مكان قضاء الحاجة، وهو مناسب؛ لينزل فيه الإمام؛ إذ موضع قضاء الحاجة محميٌّ ومصان. يقول الوالد: وأتيت بعامل وعملت تخريجة[٢] من فتحة في الحصن، ثمَّ ركَّبنا عليها أخشابا وحجارة، وصُلِّح عليه بالطين، وصار الموضع صالحا بكلِّ خدماته لاستقبال الإمام.

وجاء الإمام وبصحبته ركب من الناس، ومنهم العلماء والأعيان والعسكر، ونزلوا بحصن بهلا[٣]، ونزل الإمام في المكان الذي كان يسكن الوالد فيه، وانضمَّ الوالد مع أترابه وأصحابه، كأبناء الشيخ محمَّد بن سالم الرقيشي، المشايخ: إبراهيم، وأحمد، وعلي، ومعهم الشيخ يحيى بن عبد الله النبهاني. وفي اليوم الذي استقام المجلس في أمر حصن الزامة، ووقع الاجتماع فيه كان -كما يصفه الشيخ الوالد- مهيبا؛ حضر أكابر العلماء والقضاة، وحضر فريقا النزاع وجوه بني هناءة أهل

---

١) ما أشبهها بقصَّة فرجتيها يا سخيلة.

٢) التخريجة موجودة، وهي بصمة وضعها الوالد في الحصن، ودَخَلْتُ فيما رُمِّم اليوم، وكنت أقول للوالد -حينما نمرُّ بحصن بهلا، وهي ترى من الخارج محاذية للشارع على يسار الذاهب إلى عبري أعلى جدار الحصن-: لا أحد يدري يا أبتاه أنَّ لك بصمة في هذا الحصن؛ عملتها اجتهادا في خدمة ذلك الوليِّ الصالح إمام المسلمين محمَّد بن عبد الله الخليلي، وها هو الزمان يجود لي بفرصة هذه الندوة؛ لنقيِّد هذه الفائدة ونذكرها، والحقُّ كم من المعلومات لو لم تكن هذه الندوة لذهبت طيَّ النسيان؛ بسبب عدم التوثيق والكتابة!.

٣) كان نزولهم مساء، وكان عشاؤهم في الحصن، يقول الشيخ الوالد: إن الإمام بعد أن عرف أن الرسول الذي أبلغ أن عدد القادمين مع الإمام١٥٠ شخصا، ثم ظهر أنَّهم فوق المائتين أو يقترب من المائتين وخمسين، قال الإمام: هذا الذي الرسول لا يعرف؛ فحين يكون الجمع ١٥٠ يجعلهم مائتين أو أكثر من مائتين. وهذه قاعدة الجمع.

الغافات، ووجوه بني شكيل؛ ووجوه بني هناءة: أهل بلاد سيت، وفي مقدمتهم أبناء علي بن هلال، الإمام غالب، والشيخ طالب وغيرهم. وهنا انطلق الإمام مهدِّدًا بهدم حصن الزامة؛ ولكن عبد الله بن زاهر أخذ يتوعَّد بالحرب، وعدم قبول هدمه، وكان أبوه الشيخ زاهر سياسيًّا محنَّكًا؛ فاستعمل طريقة اللين لإرضاء الجمع. ومع الحوار، والوساطات، وتقديم الحلول المجنِّبة للتوتُّر اتَّفق الجميع على أمور أهمها:

- غلق منفذ الضرر من حصن الزامة على الفلج الذي يذهب لبني شكيل.
- التعهد بعدم إيقاع أي ضرر بالفلج.
- تنظيف الفلج، وشحبه، وصيانته؛ حيث كان بنو هناءة يمنعون بني شكيل من تنظيفه، وشحبه، ويمنعون من خدمته.
- وكذلك تصريج مكان، حكم فيه الشيخ أبو زيد سابقا بتصريجه.

وبعث الإمام من يقوم بذلك الأمر، ويشرف بعض العلماء والقضاة على الأمر، وكان من العلماء الذين قاموا بذلك الشيخ زاهر العثماني، والشيخ سفيان الراشدي، والمشايخ من بني هناءة أهل بلاد سيت الإمام غالب، والشيخ طالب، والشيخ أحمد بن عبد الله بن هلال وغيرهم، واشتغلوا بتنظيف الفلج، وشحبه، وتسجيمه، وتسقيفه؛ حتَّى لا يسقط عليه شيء من الأذى. وتحقق المطلوب آنذاك.

النهوض للحمراء:

يعد نهوض الإمام للحمراء أنموذجا للحزم عند الحاجة. وقد تداخلت مشكلة المطلوبين للعدالة من قبل الإمام، ممَّن تعدَّوا في بعض القضايا، وكانوا تحت نفوذ شيخ العبريين آنذاك؛ كدرويش الهطالي، وبعض العبريين المتهمين، وكذلك بعض بني خروص، وتعدَّدت الأحداث التي يتَّهم فيها كلا الفريقين الآخر. وطلب الإمام من الشيخ إبراهيم بن سعيد شيخ العبريين آنذاك بعض المتَّهمين، فوعد أوَّل الأمر، ثمَّ امتنع. وتكرَّر الطلب دون جدوى. وهنا نهض الإمام وأصدر أمره بالقيام على العبريِّين، فاستجاب الناس. واجتمع جيش كبير ببهلا، وأظهر الإمام عزمه على الهجوم على الحمراء؛ لبغيهم وعدم استجابتهم للإمام. وأظهر إبراهيم بن سعيد

استمرار الرفض، ومواجهة الإمام، وعدم استجابته له. فخرج إبراهيم بن سعيد من الحمراء إلى وادي السحتن، وأمَّا أكابر وأعيان العبريين، فبادروا إلى الإمام قبل حركته إلى الحمراء، وفي مقدمتهم محمَّد بن حمد بن محسن، وحمد بن مهنَّا؛ مذعنين للإمام، ملتمسين منه الكفَّ عن الحمراء والرجوع. فقبل منهم طاعتهم، واشترط عليهم أن يقدِّموا شيخا غير إبراهيم، وأن يأتوه بإبراهيم. وأمَّا هو والجيش فيدخلون بلادهم، ويقيمون بها ثلاثة أيَّام، وتمَّ الاتِّفاق على تولِّي حمد بن مهنَّا مشيخة العبريين[١]، وأغلق ملفُّ القضيَّة.

مقتل خلفان بن ثنيان وحصار نخل وفك الحصار:

من الأحداث الجسام التي وقعت في عهد الإمام الخليلي قضيَّة مقتل خلفان بن ثنيان في نخل، وما أعقبها وواكبها من أحداث. فقد جار خلفان وتجبَّر، وَقَتَلَ بغير حقٍّ، بل قَتَلَ بعض أهل العلم والفضل؛ كقتله الشيخ القاضي الجليل العلاَّمة سيف بن أحمد الكندي[٢]، وأخذ أموال الناس بالباطل، ووضع يده على الأوقاف. ونصحه عامل الإمام الشيخ محمَّد بن سالم الرقيشي؛ فلم يستجب. فكان لا بدَّ من تخليص المسلمين من شرِّه؛ إذ صار في حكم البغاة المفسدين؛ فأرسل الإمام بعض عسكره على رأسهم سيف بن حمود الرواحي؛ ليكونوا منسِّقين مع الشيخ الرقيشي في أمر خلفان. ويروى في بعض تفصيلات الحادثة أنَّ عسكر الإمام قدموا إلى نخل، فعلم بهم خلفان؛ فتهيَّب، فأظهر عسكر الإمام القليلين القادمين أنَّهم خرجوا من نخل - على سبيل التورية والتعمية-، ثمَّ عادوا خفية، وباتوا ليلتهم في حصن نخل. ثمَّ ذهب الجميع، ومعهم الشيخ الرقيشي إلى مجلس خلفان بن ثنيان في شجاعة نادرة؛ ولما دخلوا عليه كانت عينه على تفق سيف بن حمود الرواحي فقال خلفان: "تفقك حاشي (مشحون بالذخيرة)"؟، قال سيف: "في فؤادك". وصوَّبه إليه

---

١) ما أوردته هنا ممَّا سمعته من سيدي الوالد. ويُنظر تفصيلات لهذه القضيَّة في: السالمي: نهضة الأعيان، ص٤٠٨.

٢) علاَّمة فقيه، قُتل نائما في فراشه غيلةً هو وزوجته، وأصبح ابنه إبراهيم فقيها قاضيا بعد ذلك. يخبرني الشيخ الفقيه عبد الله بن سيف بن محمَّد الكندي عن مكانة الشيخ سيف أنَّ الإمام سالم بن راشد نزل عنده في طريق عودته من الرستاق، وأمضى كلَّ شيء كان يطلبه الشيخ سيف من مصالح المسلمين، وكان يخاطبه بوالدنا وشيخنا العزيز في خطابه الشفويِّ أو المكاتبات بينهما.

يُنظر مزيد تفصيله في: السالمي: نهضة الأعيان، ص٢٢٣. والخصيبي: شقائق النعمان، ج٣، ص٢٩٧.

مطلقا النار عليه، وربمَّا تمكَّن خلفان من بعض المدافعة؛ فأصيب بعضهم. وروي أيضا أنَّ الشيخ الرقيشي ضربه بنصل الخنجر. ولَمَّا قتلوه ثار أعوانه، وحاصروا والي الإمام ومن معه في نخل. وبقي الحصار، وعاش المحصورون في حال قاسية فترة من الوقت؛ لدرجة -كما سمعنا ورُوينا[1]- أنَّهم اقتسموا التمرة. ثمَّ نهض الإمام، لاسيما بعد تعجيل الشيخ عيسى له، لفكِّ الحصار عن الشيخ الرقيشي ومن معه؛ وتداعت القبائل في ذلك، وتمَّ فكُّ الحصار، وردُّ البغاة وكيدهم إلى نحورهم، وتمَّ ذلك في أشهر الحجِّ من عام ألف وثلاثمائة وواحد وأربعين للهجرة[2].

مسألة الطو والبغاة فيها:

يقدم لنا الشيخ الوالد في خبر مسألة الطو صورة رائعة للإمام وهمَّته، وتوكُّله على اللّه، ونهوضه بنفسه في أيِّ أمر جلل. ويقدِّم لنا رواية أخرى لطريقة النهوض للطو، غير التي ذكرتْها المصادر. ويظهر أنَّ الوالد من خلال حديثه أنَّه سمعها من رواية مَن صاحَبَ الإمام. يروي أنَّ الإمام أصبح يوما فأمر سائس دابَّته أن ينهض معه للذهاب دون أن يبينِّ له مقصده، إلاَّ التوجه لوادي بني رواحة. وكان الرجل يريد أن يطلب أكلا. فقال له الإمام بلغة واثقة: سيأتيك الطعام إن شاء اللّه. وانطلقا حتَّى بلغا أوَّل بلدان وادي بني رواحة؛ فاستقبلهما الناس، ونزل المسجد، ثمَّ أخذ الناس يتوافدون بالأكل والقهوة والطعام. فقال الإمام لصاحبه: "هيَّا كُلْ، قد جاءك الطعام والرزق". وهنا أعلن الإمام أنَّه يريد الطو، وأرسل مستنصرا للخروج معه، وتوافدت القبائل بعد أن سمعت الخبر. وجاء الشيخ سليمان بن حمير النبهاني، وسأل الإمام عن مقصده، فقال: الطو أعدُّها باغية؛ لأنَّها حمت البغاة، وقطَّاع الطرق، وأعدُّهم محاربين مفسدين، وتقع عليهم أحكام البغاة، فقد أرسلتُ لهم بتسليم هؤلاء المفسدين فلم يستجيبوا، ولا يسعني إلاَّ النهوض إليهم. فطلب الشيخ سليمان المهلة؛ ليسعى بتسليم السبعة الذين طلبهم الإمام وأنَّه يتكفَّل بالأمر؛ فقبل منه الإمام ذلك، وسعى الشيخ سليمان لدى أكابر

---

١) ممَّا سمعته من أمِّي عائشة بنت سعود بن سليمان الكندي -حفظها اللّه- رواية عن جدَّتي أصيلة بنت سعيد بن أحمد الكندي؛ وهي روت عن زوجة أبيها الوالدة مريم بنت محمَّد بن سالم الرقيشيَّة؛ وكانت الأخيرة صغيرة السنِّ في حصن نخل، وقد ذكرت شدَّة الأمر في حصار نخل، وتقاسم شربة الماء والتمر في ذلك الحصار، ويذكر الوالد -أيضا- أنَّ الأمر وصل بالمحاصرين آخر الأيَّام، وأقسى شدَّة الحصار أنَّه لا يزيد نصيب الواحد من الماء على فنجان قهوة، ويأكلون البصل.

٢) بعضه ممَّا سمعته، ولتفصيل ذلك يُنظر: السالمي: نهضة الأعيان، ص٣١٦ - ٣١٨.

الطو: احموا أنفسكم وبلادكم، وجنِّبوها الحرب، والدمار بتسليم المجرمين[١]. فنهضوا، وكمنوا لهم، وتصيَّدوهم، وأوثقوهم وجيء بهم إلى نزوى، وأقيم عليهم حدُّ الحرابة[٢].

إنَّ كثيرا من الأحداث التي أوردناها شهدها الشيخ الوالد، فهو شاهد عصر عليها؛ غير أنَّ هناك أحداثا مثل وقعة نخل المتقدِّمة لم يشهدها، وإنَّما رواها ممَّا سمعه من الأخبار. ومن الأحداث ما رواه عن والده -رحمه الله- كأخبار نهوض الإمام إلى عبري، فقد روى الشيخ الوالد عن والده أحمد بن سليمان ومشاركته في نهضة عبري، إذ يذكر أنَّ الوالد أحمد بن سليمان مع جماعته الكنود شاركوا في نصرة الإمام[٣].

وهذه الخرجة إلى عبري هي المرتبطة بعصيان أمير عبري وعدم طاعته للإمام؛ وسعى فيها بعض شيوخ عُمان - ومنهم الشيخ ياسر المجعلي- للتوفيق بين الطرفين؛ وأن يتخلى شيخ اليعاقيب عن إمارة عبري. فقبل التخلي لما رآه من ضعفه وقوَّة الإمام. وكان التخلِّي مقابل أن يعفى عنه، ولا يُسأل عمَّا مضى. وولى الإمام الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري على الظاهرة، وكان ذلك قبل مسألة الحمراء المتقدِّم ذكرها[٤].

ومن الأخبار التي وقف عليها الوالد أحداث وقعت ببهلا وما حولها أسلفنا في ذكر بعضها؛ ومَّما وقع أنَّ رجلا يُلَقَّبُ بالقصير، واسمه خلف، وهو ممَّن يتبعون

---

١) هذه الرواية تؤكد مشاركة الشيخ سليمان بن حمير المباشرة، نعم الإمام أول الأمر كما يظهر من هذه الرواية لم ينتدب أحدا، إلاَّ بعد نهوضه واستقراره في سمائل، وهذه الرواية تؤكد عدم وصول الإمام في هذه الواقعة إلى الطو، إذ أن المطلوب هو القبض على اللصوص المفسدين وقد تم ذلك، وهذه الرواية هي الصحيحة؛ لأنَّ الوالد أخذها من الرجل الذي صحب الإمام إلى سمائل. وقد ذكر الشيخ محمَّد السالمي في النهضة أن الإمام وصل بجيشه إلى الطو وتفرق اللصوص، وأن خروج الإمام لحرب بلدة الطو كان شهر صفر من عام ألف وثلاثمائة واثنين وستين للهجرة على رأس جيشه، وقد دفعه إلى ذلك قيام بعض اللصوص، والغوغاء من بني جابر بسرقة أموال الناس، وسفك دمائهم، وغرتهم حصانة الطو، ووقوعها بين الجبال، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله، ولكن ما إن تقدم أبو خليل من الطو؛ حتَّى تفرق اللصوص، وصاروا بين قتيل، وأسير، وشريد، إذ مكّن الله الإمام منهم، وانتهى أمرهم. يُنظر رواية النهوض للطو في: السالمي: نهضة الأعيان، ص٣٢٦.

٢) أمْر إقامة حد الحرابة في نزوى لهؤلاء مشتهر، وقد رواه الكثيرون.

٣) كان الإمام يستنفر القبائل في أي شيء يحتاجه للنصرة.

٤) يُنظر تفاصيل في هذا الموضوع في: السالمي: نهضة الأعيان، ص٣٢٦.

بني هناءة، ظلم أحدا في سوق بهلا، وكان متوشِّحا بالسلاح يهدِّد أنَّه من رعايا وأولاد الشيخ زاهر بن غصن. وكان الوالي آنذاك الشيخ سعود في مَهمَّة بعثه بها الإمام الخليلي؛ وناب عنه في هذه السفرة الشيخ الوالد في الولاية، والشيخ علي بن ناصر المفرجي في القضاء. وبعد وقت وجيز أرسل الشيخ زاهر تهديدا لهما؛ حتَّى لا يمسَّا خلفًا هذا؛ فرفعا الأمر إلى الإمام، وبيَّنا أنَّ خلفا هذا يخرج للسوق بسلاحه ويهدِّد؛ فأرسل الإمام أربعة من عسكره من نزوى دخلا السوق بعد أن أبلغا نائب الوالي، وقبضا على خلف، وقيَّداه، وحملاه إلى قلعة نزوى.

ومثل هذه القصَّة قصَّة رجل آخر كان يعتزي ويفتخر ببعض أُسر من بني هناءة من بلاد سيت، وبعد فترة من الوقت حضر الشيخ أحمد بن عبد الله بن هلال الهنائي، وابن عمه محمَّد بن سعود بن حمد، والرجلان كانا من أفاضل وأخيار بني هناءة[1]، واتَّجها إلى السوق بعد أن أشعرا نائبي الوالي بحضورهما، وأخبراهما أنَّهما جاء في أمر هذا الرجل، وجاءا به وقد جرَّداه من سلاحه، وقالا له: انزل إلى السجن. ألست تقول: إنَّك مَّمن يخصون بني هناءة، وأنَّهم شيوخكم؟ فقال: نعم، قالا: امتثل، انزل السجن، فقيَّداه، وسجناه، وقالا لنائبي الوالي: حين نحضر بعد مدَّة نحن نفكُّه، فسجن في قلعة بهلا، ثمَّ عادا بعد مدَّة ففكَّاه؛ فتأدَّب، ولم يظهر منه أيُّ حدث بعد ذلك.

إنَّ ما عرضناه فيما تقدَّم من أخبار الإمام من نماذج تكشف جوانب الحزم السِّياسيَّة والعسكريَّة والإداريَّة عند الإمام الخليلي، وتجلَّى لنا أنَّه خالط الحزم في بعض الصور - كما رأينا - بعض المرونة السِّياسيَّة، على أنَّ التوجُّه المرن في السياسة يتجلَّى في سعيه. وتمثِّل معاهدة السيب صورة من هذه المرونة والتجاوب بما يحقِّق المصلحة والاستقرار والسلام.

معاهدة السيب:

سمعت من الشيخ الوالد معلومات قيِّمة جدًّا في مسعى الشيخ سعيد بن ناصر الكندي بعد رجوع الإمام سالم بن راشد من جهة بركاء عند عودتهم من الرستاق

١) كان الوالد يثني كثيرا على أفاضل بني هناءة من بلاد سيت، ومنهم أحمد بن عبد الله، وزكري بن زاهر، وخالد بن هلال، وعلي بن هلال، وأبناؤه غالب وطالب وعدي ومحمَّد بن سعود بن حمد وغيرهم، وجل هؤلاء من شيوخ بني هناءة.

ونخل؛ وإثر القصف الذي وقع على جيش الإمام من البحر من جهة بركاء. وكان الشيخ سعيد يسعى لهدنة بين طرفي النزاع، وانتزع للإمام قبولا من سلطان مسقط؛ لتكون السيب للإمام، ولهم دخل نصف فرضة، أي ميناء مسقط، وغير ذلك ممَّا كان يراه جيِّدًا للإمام في تلك المرحلة، لا سيما أنَّ الحليف الإنجليزيَّ موجود بقوة في بحر عُمان وبحر العرب، وقوته حاضرة للتدخُّل، وكان يرى تحقيق ذلك مصلحة للمسلمين. وحاول الشيخ سعيد بقوَّة إقناع الإمام، لكن الإمام سالما رفض، وحاول الشيخ أن يضغط في محاورة الإمام، فكان ممَّا قاله: نرى في ذلك صلاحا للمسلمين، فقال الإمام: إذن قيلوا بيعة سالم؛ هنا قال الشيخ سعيد بن ناصر: لم نسع، ولن نسع لذلك. وبقي الإمام على موقفه، ولما واصل جيشه المسير، وقع القصف عليهم في سيح الوطية، وأصيب جيش الإمام؛ فرجعوا عن مسقط. كانت هذه الرواية التي سمعت الوالد الشيخ -حفظه الله- يذكرها مرار، ثمَّ في عهد الإمام الخليلي تَّم توقيع معاهدة السيب. ولكنَّ المكاسب التي كان قد حصل عليها الشيخ سعيد لدولة الإمام سابقا، ذهبت، وحلَّ محلَّها عدم التعرُّض نهائيًّا لمدن الساحل؛ وبدلا من مشاركة دولة الإمامة في الميناء، ألزموا بدفع ضريبة ٥ ٪ وبدلا من كون السيب لهم صارت كلُّ مدن الساحل للسلطان.

هذا، وإن في النفس من مسألة معاهدة السيب تساؤلا، لم نجد له ما يشبع النفس بالجواب؛ وهو: لماذا اختفى دور الشيخ سعيد بن ناصر الكندي في التوقيع على الوثيقة، مع الدور الذي قام به سابقا، وكان مفوَّضا من قبل الإمام؟! ولماذا ظهر دور الشيخ عيسى بن صالح الحارثي فقط، ومعه دور الشيخ سليمان بن حمير النبهاني؟ هل كانت الخطَّة تقتضي من جهات ما اضطلاع شيوخ القبائل بالدور واختفاء دور العلماء؟ لعلَّ هذا يفسِّر لنا ذلك، أم أنَّ الشيخ سعيدا لم يقبل بأمر ما في المعاهدة، وهناك بعض الأخبار عن تحفُّظه على الصيغة الأولى للمعاهدة؟ أم ماذا؟[١]

ويذكر الشيخ الوالد لنا صورا من المعاناة التي يعيشها المسافرون إلى مسقط؛ لاسيما التجَّار عند النقاط التي تؤخذ فيها الضرائب؛ ثمَّ اشتداد ذلك في عهد

١) يُنظر: ورود ذكر المعاهدة وتفصيلات حولها في: السالمي: نهضة الأعيان، ص٣٠٨، غباش، حسين غانم: عمان الديمقراطية الإسلاميَّة، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث ١٥٠٠-١٩٧٠، ط١، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م، ص٢٩٣ - ٢٩٦.

الإمام غالب، وأيَّام حرب الجبل[1].

لقد كانت معاهدة السيب أنموذجا للمرونة والحوار والعلاقة السِّياسيَّة. وكان للإمام علاقات سياسيَّة، وصلات مع زعماء من خارج عُمان كزعماء السعوديَّة وغيرهم[2].

شخصيَّة الإمام الخليلي الروحيَّة الملهِمة في نظر الشيخ يحيى:

لقد تجاوزت النظرة التي ينظر بها الشيخ الوالد يحيى بن أحمد إلى الإمام الخليلي شخصيَّة المعجب العادي إلى المعجب بذي الشخصيَّة الروحيَّة الملهِمة والإمام الربَّاني العظيم؛ فلكم سمعت الوالد يذكر من خصال الخير والخلق الرفيع الذي تمتَّع به الإمام!.

يقول عنه: "نشأ الإمام في بيت نعمة وثراء، وكنت أنظر إليه وإلى جسده وأثر النعمة باديا، لكنَّ هذا الجسد صبر صاحبه على شظف العيش". وكأنَّ الوالد يريد أن يعقد مقارنة للَّبيب؛ ليدرك مقام هذا الإمام وفضله.

ومن صفاته: الصبر على الناس، وعلى أذاهم، وتحمُّل مشاقِّ قيادة الناس رغم صعوبة وضيق ما في اليد. يذكر الشيخ الوالد قصَّة مجيئه مرَّة بمبالغ من والي بهلا إلى الإمام، وذهب إلى مجلس الإمام؛ حتَّى ينسِّق معه كيفيَّة تسليمها؛ وكان قد حضر المجلس أحد أكابر القبائل، فطال المجلس، ولم يستأذن ذلك الرجل؛ آملا بمعرفة كنه ما جيء به من بهلا، فيحصل على نصيب. قال الوالد: وطال المجلس كثيرا، فلمَّا رأى الوالد ذلك أظهر الاستئذان؛ فاستأذن الرجل أيضا، وتقدَّم هو؛ بحكم كبر سنِّه ومقامه، وتأخَّر الوالد. وانتهز الفرصة عند وقوفه والإمام ليسرَّ له بما أتى به، وأنَّه لم يستطع إظهار ذلك. فقال الإمام: أدركتُ ذلك. وأخبره أنَّه ينتظره بعد صلاة الفجر في غرفة أشار له عليها. يقول الوالد: "فذهبت بعد صلاة

---

١) من صور ذلك أنَّ الدابَّة إذا بعرت كانوا يلزمون برفع ذلك البعر، وفي أيَّام حرب الجبل كان التفتيش على أشدِّه في نقاط التفتيش؛ لدرجة أنَّ من يأتي بالقاشع والعوال ينشر في الأرض.

٢) وكانت للإمام مراسلات مع علماء من خارج عمان كمراسلته للقطب وغيره؛ وممَّا وقفت عليه بنفسي رسالته الموجهة إلى الشيخ صالح بن عمر لَعْلي - أحد العلماء الكبار من تلاميذ القطب - وجدتها محفوظة في مكتبته في بني يسجن؛ ومن عباراتها يقول الإمام: "فلا تعجلوا بالبراءة من العالم القراري". وقد وجدتها حينما كنت أبحث في خزانة مخطوطاته في بني يسجن.

الفجر مباشرة، وكنت متعوِّدًا الذهاب، والحرَسُ يعرفونني. فقالوا له: تريد الإمام أم المتعلِّمين؟ حيث كان كثير منهم أصحابه، وقد اعتاد الذهاب إليهم؛ فورَّى لهم بحاجته للمتعلِّمين، ولم يظهر أنَّه يريد الإمام. قال: ثمَّ دخلت مباشرة إلى الغرفة التي كان قد أشار الإمام لي بها، فسلَّمت عليه، وأعطيته المبالغ. وكنت أهمُّ بعدِّها أمامه. فأشار إليَّ الإمام أن لا أعدَّ؛ حتَّى لا يعرف أحد، أو يُسمع صوت القروش". قال: -وهو يشير رحمه الله ورضي عنه إليها- قائلا: هذه محتاجون إليها كثيرا[١]. هذا هو الإمام الذي دفع أمواله لعزِّ بيت مال المسلمين - كما سنورده لاحقا- في أشدِّ الحاجة إلى القليل من المال.

كان الإمام الخليلي كريما جوادا على غيره، صابرا محتسبا في نفسه، يعيش الكفاف والقناعة؛ ففي بذل ماله للمسلمين لم يُر له مثيل. يذكر الشيخ الوالد أنَّه وقف مع وكيله في سمائل على بستان؛ فأعجبه، فسأل عنه، فقال وكيله: ألا تعرفه؟ قال: لا، قال: هذا البستان لك، قال له: بعه وجئني بثمنه إلى نزوى؛ ولعلَّ هذا البستان ممَّا بقي ممَّا ورثه ولم يبعه. وقال وكيله: "ما يهون يباع"، قال الإمام: "مو يعني ما يهون؟! بعه وجئني بثمنه!". واشتهر أنَّ الإمام الخليلي حين ورث ما ورثه عن أبيه من أملاك، وكان أبوه ثريًّا موسرا؛ باع أمواله وأدخل قيمتها لبيت مال المسلمين. واشترت عمَّته شمساء هذه الأموال، فلمَّا ماتت عمَّته، كان وارثها؛ فورث تلك الأموال، وأدخلها مرَّة أخرى في بيت المال[٢]. لقد ضرب هذا الإمامُ المثل الأعلى في كرمه وسخائه، كان لا يسأله أحد إلاَّ ويجيبه أو يعده بشيء[٣] ريثما يصل ما يمكن أن يعطيه. وكثيرا ما كان الإمام يرهن خنجره أو زراد امرأته (قطعة من حليِّها) ليحصل على مبلغ يكشف به حاجة سائله؛ فإذا توفَّر المبلغ، ردَّه للتاجر، واستردَّ المرهون.

ولقد كان كرمه يستنفد ما عنده؛ وما عنده لا يصرفه متمتِّعا على نفسه وعياله،

---

١) ممَّا سمعته من الشيخ الوالد مرارا.

٢) ممَّا سمعته من الشيخ الوالد مرارا.

٣) ربَّما أغضبت هذه الصفة - في كون الإمام يَعِدُ وليس في يده شيء - بعض معاصريه. ولأمانة المعلومة نورد خبرا هنا سمعته من الوالد، وهو أنَّ الشيخ ناصر بن راشد الخروصي لم يرض ذلك من الإمام، وسعى إلى الشيخ سعيد بن ناصر الكندي في الأمر، وعرض الشيخ ناصر الأمر مقترحا عزل الإمام، ولكن الشيخ سعيدا رفض فكرة الأمر من أصله؛ حتَّى خرج الشيخ ناصر عنه مغضبا. وهذا ممَّا سمعته من الوالد يذكره أكثر من مرَّة.

بل على المسلمين كما ذكرنا آنفا. وكان يستبشر إذا ورد إليه مال، يُسَّهلُ به حاجات الناس. ومع ذلك كلِّه فإنَّ دولته في مجملها تعيش في صعوبة وشدَّة، فقد عمل المستعمر البريطاني على محاصرة دولة الإمامة، واستمرار الحصار؛ فكان ذلك بمثابة موت بطيء لهذه الدولة. وهذا أمر يحتاج إلى دراسة واعية من الدارسين اليوم بكلِّ شفافيَّة؛ فقد وضع المستعمر خطَّته حادًّا من النشاط الاقتصاديِّ والتجاريِّ، فأثمر ضعفا اقتصاديًّا واضحا، ورفض مساعي التنقيب عن النفط في ظلِّ دولة الإمام؛ سعيا لخنق هذه الدولة اقتصاديًّا، والقضاء عليها. فالحقُّ أنَّ سفينة دولة الإمام الخليلي كانت تمضي بكلِّ صدق على بركة الله، وبفضل توفيقه لذلكم الإمام الوليِّ الصالح.

وكان الإمام رجل الحلم والتواضع، وكانا تاج أخلاقه؛ فقد كان أملك الناس لغضبه فيما يحتاجه الحلم وسعة الأخلاق. ومن نماذج ذلك ما رواه الشيخ الوالد من أنَّ أناسا جاؤوا إلى الإمام الخليلي رحمه الله، فأمر إحدى زوجاته أن تصنع لهم عشاء، وكانت الثانية من زوجاته خارجة لحاجة تخصُّها؛ فعندما جهز العشاء حمله الإمام المتواضع -رحمه الله- بنفسه فلاقته زوجته عند الباب؛ فرمت العشاء من على رأسه؛ غيرةً من ضرَّتها. فلم يتكلَّم الإمام، بل قال لضيفه: قد صنعت لكم عشاء، ولكن لم يرد الله أن يطعمكم إيَّاه. ولم يعنِّف زوجه على صنيعها حلما منه.

ومن صور سعة صدره أنَّ أحد الأطبَّاء المعالجين في نزوى، وهو عبد الله بن سالم الكندي، وكان هذا الرجل من أمهر الناس، أرسل له الإمام ليأتي لمعالجة رجل مريض جيء به إلى نزوى. فلمَّا حضر قال: لا أعالجه حتَّى تعطوني مبلغا سابقا لي مستحقًّا في معالجة أحد. فلعلَّه لم يكن هناك مبلغ حاضر أو أعطي مبلغا، وهو يراه لا يكفي. فابتسم الإمام، وجاء له بما يطلب؛ حتَّى يعالج هذا المريض.

ومن طريف الحادثتين المرضيَّتين أنَّ المريض الأوَّل جيء به لنزوى وبحلقه حبَّة كبيرة تكاد تسدُّ الحلق، ولا يستطيع معها البلع. فأمر الطبيب بإناء، ووجَّه رأسه إلى الإناء بطريقة لا ينزل شيء من صديد أو دم من الحبَّة إلى البطن. ثمَّ بحذق ودقَّة أدخل أصبعيه لموضع الحبَّة، فانتزعها بقوَّة؛ فسالت في الإناء بأكملها. ثمَّ طلبَ له السكَّر الأحمر الساخن، فسقاه إيَّاه، وشفي الرجل. وفي الحادثة الثانية جيء برجل في حلقه عظم لا يستطيع بلعه، ولا إخراجه. فما كان من الطبيب إلاَّ

أن طلب ليمونة، وأخذ يقشِّرها، ويقطِّعها أمامه لفترة، والرجل يشاهد، واللعاب ينزل من فمه إلى داخل حلقه. وبعد قليل قال الرجل: الحمد لله نزل العظم. وهذا من ذكاء الطبيب؛ حيث استعمل ما يُسيل به اللعاب، وينهمر في تقطيع الليمونة وعرضها. وكان ذلك وقع بحضور الإمام -رحمه الله- في مجلسه[١].

وها هو الإمام يخرج ويقف ليستمع إلى الغالية بنت ناصر بن حميد العطابية؛ فتعجَّب البعض من موقفه، وقد جاءت تطلب منه أن يدرك أبناء ناصر بن حميد العطابي؛ حتَّى لا يتقاتلوا على حصن جبرين؛ فطلبت منه أن يدركهم، ويأخذ حصن جبرين من يدهم؛ فبادر الإمام مستجيبا لطلب تلك المرأة الكريمة، فأنفذه، وأرسل لهم من يصلح بينهم، وأخذ حصن جبرين؛ ليصبح تحت تصرُّف والي بهلا، وحلَّت مشكلة التنازع وتوقَّف الصراع[٢].

وأمَّا الشجاعة والغضب لله، ومن تضييع الحقوق فخُلُقٌ مكينٌ في شخصيَّة هذا الإمام. لقد كان الإمام - كما يصف شيخنا الوالد- "ملهما في شجاعته، يواجه الجبابرة العتاة بعزم وحزم لا يلين، صلبا كالطود الشامخ، مُرْهِبًا مَن تسوِّل له نفسه معاداة الحقِّ؛ فيزأر في وجهه؛ فيتراجع ذلك المعادي". ويُمَثِّل الشيخ الوالد بنماذج لصولته وزئيره. منها ما كان حاضرا له، فحينما هدَّد شيخ بني هناءة بالحرب في حصن بهلا يوم اجتمعوا على قضيَّة بيت الزامة الذي أسلفنا الكلام حوله؛ هنا زأر الإمام وردَّ عليه بأقوى ممَّا قاله؛ فاضطرَّ أبو ذلك الشيخ -وكان هو الشيخ في الأصل- أن يخضع لقول الإمام ويلين، وهو المحنَّك الذي عرف أنَّ وراء زئير الإمام وقوَّة جوابه، ما ينذر بحرب لا قِبل لهم بها.

وحين ذهب الإمام إلى الشرقيَّة للصلح بين بني حسن وبني بوعلي رفض شيوخ الأخيرين، أي: آل حمودة المثول لدى الإمام، هنا مباشرة أفتى الإمام بهدر دم بعض كبارهم المتعنِّتين. فأوقع الله فيهم الرعب. فرحلوا ليلا خفية إلى الشيخ عيسى بن صالح، واستغاثوا به؛ لكي يتوسَّط لهم مع الإمام، ويأخذ لهم الأمان.

---

١) ممَّا سمعته من الشيخ الوالد مرارا.

٢) يقصُّ الوالد هذه الأخبار، فترى روح المحبَّة والإجلال لشخص هذا الإمام بادية في تعبيرات كلامه ومحيَّاه؛ محبَّة سكنت القلوب، ونطقت بها الألسن، وربَّما صاحَبَها رقَّة القلب بطيب الذكر، فترى العين دامعة في ذكراه -رحمه الله-.

فسعى لهم الشيخ عيسى، ونجح المسعى، وقَبِل الإمام، ووقعت المصالحة بينهم وبني حسن وانحلت المشكلة. وفي الشواهد التي ذكرناها من صور حزمه ما يكشف حزم الإمام وقوَّة شخصيَّته، فهو كما يقول عنه الشيخ الوالد: لم يكن له الجيوش القويَّة، لكنَّه كان إذا زأر إذا بزئيره تنخلع له قلوب أعدائه، وإذا بالجيوش تقبل، والقبائل تأتي من كلِّ جهة[1].

أمَّا زهد الإمام وبساطته فتلك صورة حين تُذكَر فكأنَّها ضرب من الخيال؛ أن يكون زعيم في القرن الرابع عشر الهجري والقرن العشرين الميلادي بهذه الصورة المحمَّدية الصدِّيقيَّة العمريَّة؛ صورة تشبه صورة ذلك الرعيل الربَّانيِّ الذين اختارهم الله لهداية الناس، وهم الذين تسنَّموا الشرف الباذخ، والذكر العظيم، والفضل العميم، أنوار الحقِّ ومشكاة الخلق. فأن تظهر صورة تشابههم، فهذه الصورة والمثل جدُّ عظيمة، ولا ينقص منهم أن نرى من يسعى ليتمثَّلهم في حياته. ولكن المشابه لهم ترتفع درجته، وتعلو كرامته، وتتجلَّى أنواره. وكأنَّ هذا الإمام الخليلي الزاكي من دوحتهم يستظلُّ، ومن بحر هدايتهم يغترف.

والحقُّ أنَّ الشيخ الوالد حين يحكي عن زهد الإمام ترى أريحيَّة خاصَّة له. ولا عجب، فشيخنا نفسه جعل من مشكاة الإمام وزهده قبسا يقبس من ضيائه؛ فلم نر مثله في زهده وورعه، حفظه الله ورحم شيخه وأستاذه الإمام الخليلي. وهذا الإمام رغم أنَّه كان من بيت يَسَارٍ وغنى، وقد تبرَّع بأمواله، وقدَّمها مرَّتين لبيت المال وصلاح المسلمين، مرَّة حين ورث أباه، ومرَّة حين ورث عمَّته التي اشترت أمواله، على الرغم من ذلك كان يعيش عيشة البسطاء الفقراء؛ اكتفى في معيشته بوجبة طعام واحدة. وحينما لم يوجد الرزُّ أو إدامه، وحصلت المجاعة، وشحَّ الطعام وعسُرَ، لاسيما أيَّام الحرب العالميَّة، امتنع الإمام من أكل ذلك، وكان يقتات بأبسط ما يقتات به أحد رعاياه، وطبَّق سياسة المعيشة بأبسط ما يعيشه أحد رعاياه.

ويورد الوالد قصَّتين في امتناعه عن أكل ما زاد عن زاد المسلم البسيط من رعيَّته:

---

١) ممَّا رواه الوالد وسمعته منه.

الأولى: حين جاءت ابنته، فصنعت له طعاما، أتت بمادَّته من بيتها: بعض اللحم والرزِّ، فلمَّا قُدِّمَ له سأل: أصنعت للجميع؟ فاعتذرت بعدم وجود ما يكفي للجميع، وكانت الفترة فترة شحِّ الطعام، ويصعب وجود الرزِّ؛ فأبى الإمام أن يأكل، وكانت البنت قد رأت حال أبيها من الضعف، وجفاف الجسم، ونحافته، فدفعها ذلك لأن تتصرَّف لتصنع الطعام، ومع ذلك كما رأينا رفض الإمام ذلك.

والثانية: حين صنعت زوجته من مالها غداء لأبناء أخيه، وكانوا قدموا لزيارته؛ فلمَّا صُنع الطعام قال ممازحا: أشمُّ معكم طعاما طيِّبا؛ وحين قُدِّمَ الطعام ودعي له اعتذر أن يأكل، وحثَّ الضيوف على الأكل، ونهض هو. ولما سئل عن اعتذاره عن مشاركتهم أجاب بقوله: ما كلُّ المسلمين يجد هذا الطعام[١].

ولا ننس في هذا المقام قصَّة العلعال الشهيرة التي كثر رواتها؛ وقد رواها شيخنا الوالد حفظه الله، وهي أنَّ أحد الرجال ويلقَّب بالعلعال[٢]، واسمه سعيد بن خربوش الوهيبي كان قد أرسله الإمام لتوصيل شيء من الرسائل (وكان يقوم بذلك) إلى أحد الولاة ربمَّا في الشرقيَّة، وأعطي أجرته ستَّة قروش، ولكنَّ العلعال كان يرغب في الزيادة؛ فبعد انتهاء مجلس الإمام تبعه إلى منزله في الحصن، وتسلَّل إلى مكان الإمام؛ وفُوجِئَ بالإمام يأكل تمر نغال، بل وينظِّفه. فلمَّا رأى غذاء الإمام أثَّر فيه المشهد، وبادره الإمام لَمَّا رآه بقوله: ما سمِّيت علعالا إلاَّ لكونك علعالا؛ وهنا انصرف العلعال راضيا. وقيل: إنَّه قال للإمام: كنت أتيت لأطلب الزيادة في الأجرة، فلمَّا رأيت أكلك رجعت ورضيت.

وأمَّا تقواه وعبادته صلاة وصياما فقد ضرب الإمام الخليلي أروع الأمثلة فيها، وممَّا يرويه الشيخ الوالد نذكر موقفين[٣] من عبادته وهو في السفر:

الأوَّل: وقع عند رجوعهم في سفر من الأسفار من الشرقيَّة إلى نزوى؛ وأنَّ الإمام ومن معه واصلوا المسير؛ حتَّى بلغوا فرْقًا في وقت متأخِّر. وقد بلغ بهم الإعياء مبلغًا عظيمًا؛ فكلُّ من وصل من الركب كان أقصى طاقته أن ينزل رحله من دابَّته قبل

---

١) ممَّا رواه الوالد وسمعته منه.

٢) العلعال: طائر، يقال: إنَّه القُنْبَر الذَّكَر. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادَّة علعل، د. ط، دار صادر، بيروت، لبنان، ٤٦٧/١١.

٣) ويشير في روايته بسماعه ذلك من أحد عسكر الإمام المصاحبين له.

أن يغشاه النوم، ويهجم عليه، إلاَّ الإمام، فإنَّه ذهب وتوضأ، ثمَّ انتصب كالرمح قائما ليله.

والثاني: مثله، أخبره بعض عسكر الإمام، حدث في طريق الشرقيَّة في سفر من الأسفار، وفيه واصل الإمام المسير على الرواحل، ومن معه، حتَّى مضى جزء كبير من الليل؛ فلمَّا بلغوا مكان المبيت، كان كلٌّ واحد من الركب مرهقا، فلمَّا نزلوا ناموا جميعا، إلاَّ الإمام قام ليله يصلِّي. ومثل هذه الأخبار في تعلُّق الإمام بالعبادة شهيرة تناقلها الرواة[1]، وحينما عَرضتُ على سيِّدي الوالد -حفظه الله- قصيدتي في الإمام الخليلي والتي منها (الطويل)[2]:

على مرتقى الأمـلاكِ نسكُكَ حائمُ ... نـهـارُكَ صـومٌ واللـيـاليَّ قـائـمُ
تمنَّـى إلـيـكَ الـسـالـكونَ دنـوّهـمْ ... وهـيـهـاتَ لمْ تبـلـغْ إلـيـكَ الـقـوادمُ
سـراجُـكَ مـن نـورِ الـتـعـبُّـدِ زيـتُـهُ ... مـن العلمِ والإخـلاصِ بالشوقِ عـارمُ

أعاد ذكر خبر عبادته في السفر معلِّقا على عبارة "سراجك من نور التعبُّد زيته... الخ"؛ واصفا أنَّ تلك الهمَّة العالية والتعلُّق الكبير للعبادة هي زيت التعبُّد.

لقد كان الإمام يمثِّل صورة العالم العامل الملتزم بمقرَّرات الشريعة، المنتبه لدقائق الأمور. من صور ذلك ما روي أنَّه نبَّه أحد أهل العلم وقف معه يغسل الملابس، وأمره أن يعصرها في الفلج نفسه ليحافظ على الماء. وضمن ذلك كان الإمام حذورًا في دينه لا يستعجل في الأمور. يروي الشيخ الوالد أنَّه لَمَّا وقع المحل أوَّل عهده، وكان المحل وقع إثر قتل الإمام سالم، ثمَّ استسقوا؛ فنزلت الأمطار، واستمرَّت أسبوعا انقطعت السبل في نزوى، فجاء بعض الناس يطلب من الإمام أن يدعو لرفع المطر، أبى الإمام ذلك قائلا: إن المحل الشديد الذي وقع لا يقلعه إلاَّ مثل هذه الأمطار، وهذه صورة عظيمة من التسليم والتفويض لأمر الله؛ يقول الوالد: وشاء الله ذلك اليوم أن يتوقَّف المطر.

لقد كان الإمام مباركا محفوظا في عهده؛ فحتَّى لو وُجد شيء من الخلاف،

---

١) يُنظر ورود مثل هذا الخبر في: الحارثي، سعيد بن حمد: اللؤلؤ الرطب، ص١٦٤.
٢) قصيدة مرقونة بمكتبة الباحث. وقد قدّمت في الجلسة الختامية لندوة الإمام الخليلي.

وذلك ممَّا طبع عليه البشر، فإنَّ الله يوفِّق ويلطف حتَّى تنفرج وتحلَّ الإشكالات. وممَّا يرويه الشيخ الوالد حادثة وقعت حين خرج الناس للاستسقاء مرَّة؛ وكان الإمام سيخرج معهم، لكن لعذرٍ ما لم يستطع الخروج. فأرسل أنَّه لن يخرج، وكان أحد أهل العلم قد جلس في موضع إمامة الصلاة، وكان البعض لا يريده أن يتقدَّم؛ فحصل همس وكلام؛ حتَّى لربَّما قال أحد: إنَّه سيجذبه؛ ولكن وقع أمر، إذ جاء دِبِيٌّ (دبُّور) فأصاب المتقدِّم فأصيب باللدغ قرب عينه؛ فاضطرَّ للخروج من مكان الصلاة. ثمَّ قدَّم الناس أحد العلماء ليصلِّي. وعلَّق الشيخ زاهر العثماني على الواقعة بقوله: "إنَّ لله جنودا من دبيان"؛ وكفي الناس الاختلاف[١].

لقد كان الإمام يمثِّل الشخصيَّة الجادَّة الذي لا يضيِّع وقتا؛ يكشف ذلك جدول حياته اليوميُّ؛ فصلاة الفجر، ثمَّ تلاوة القرآن، ثمَّ إلى قبيل الظهر متابعة المهامِّ التي تتعلَّق بالدولة مع القضاة والولاة، أو مع الضيوف، وقد تكون له قيلولة خفيفة حسب سعة المقام قبيل الظهر. أمَّا بعد الظهر فجلسة عامَّة مفتوحة لكلِّ الناس، فيأتي أصحاب الحوائج أو المظالم، وكلُّ من يريد أن يلقى الإمام من الناس. ثمَّ صلاة العصر، وبعد العصر قبل المغرب وقت وجبة الطعام الرئيسة. وغالبا يأكل مع الناس، ويأكل ممَّا يقدَّم لعموم الناس، بل بأقلّ معيشة أهل زمانه. وما بين العشاءين يكون المجلس العلميُّ لمدارسة العلم ومسائله وقراءته، يحضره العلماء وطلبة العلم خاصَّة؛ وربَّما امتدَّ المجلس إلى نهاية الثلث الأوَّل من الليل أو يزيد. ثمَّ يقومون لصلاة العشاء، ثمَّ مرحلة الليل بما فيها من الراحة والقيام، وقد تقدَّم بيان صورة تعلُّقه بالعبادة والقيام. وغالب صلوات الإمام في الجامع، وربَّما صلَّى العصر أحيانا في مسجد السنود، أو صلَّى الجماعة في غرفة الصلاة في الحصن.

خاتمة:

إنَّ أهمَّ النتائج توصَّل إليها هذا البحث ما يأتي:

- تنوَّعت وجوه استفادة الشيخ يحيى من العهد الخليلي؛ تأثُّرًا بالأعلام المتربِّين في الحضن الخليلي؛ أو تَلَقِّيًا مباشرًا من الإمام الخليلي نفسه، وتمازج التأثير بين التعليم والتربية والتجربة في هذا العهد، وزاد التجربة نضجا تولِّيه أعمالا

١) ممَّا أفادني به الشيخ الوالد ورواه وسمعته منه مرارًا.

تخدم دولة الإمام الخليلي.

- أظهر البحث ما يؤكِّد تمتُّع الإمام الخليلي بالمكانة العلميَّة السامقة، وأنَّه مرجعيَّة عهده، يتمتَّع بالنباهة، والذكاء الوقَّاد. وتمتَّع الإمام بقدرة بيانيَّة نادرة، ورشاقة وعذوبة لعباراته وكلامه.
- جمعت شخصيَّة الإمام بين الحزم السياسيِّ والمرونة؛ حزم محرِّكه الحفاظ على حقوق الله والعباد، فلا مجال لتضييع أيٍّ منهما. أورث هذا المنهج حالة من السلام والطمأنينة والأمن، اتَّسم بها العهد الخليليُّ؛ فقد حُميت الحقوق، وقُطع دابر الفساد، وحُمي المستضعفون؛ فنعم الناس بأثر ذلك.
- مثَّلت شخصيَّة الإمام للشيخ يحيى الشخصيَّة الروحيَّة الملهِمة، والإمام الربَّاني العظيم؛ اقتباسا من ضيائه، وتأثُّرا بمسلكه، وتعلُّقا به، وقد تأكَّدت صورة ذلك من خلال ما يذكره ويرويه، وطريقته في عرض شخصيَّة الإمام.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور، محمَّد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، د. ت.
- أبو اليقظان إبراهيم: سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، المطبعة العربيَّة، الجزائر، ١٩٥٣م.
- الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، تح: سمير جابر. ط٢،دار الفكر، بيروت. د. ت.
- البخاري، محمَّد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ): الصحيح، د. ط، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج٤، ١٩٠٠م.
- الحارثي، سعيد بن حمد: اللؤلؤ الرطب في إبراز مستودعات القلب، د. ن، ١٩٨٤م.
- الحضرمي، منير (معاصر): مقال المخطوطات بمكتبة الشيخ عبد الله بن سيف بن محمَّد الكندي النخلي (مرقون).
- الحوسني، زاهر بن عبد الله بن هلال (معاصر): سيرة الشيخ محمَّد بن سالم الرقيشي، حياته وآثاره، بحث تخرج معهد العلوم الشَّرعيَّة، نسخة مرقونة،

١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

- الخصيبي، محمَّد بن راشد بن عزيز (معاصر): شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عُمان، ط٢، المطبعة الوطنية، روي، سلطنة عُمان، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٩م.
- الخليلي، الإمام محمَّد بن عبد الله (ت: ١٣٧٣هـ): الفتح الجليل من أجوبة الإمام أبي خليل، طبعة المطبعة العمومية، دمشق، ١٣٨٥هـ.
- الخليلي، محمَّد بن أحمد (معاصر): الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي ومنهجه الفقهي لمحمَّد بن أحمد الخليلي، (مرقون)، ٢٠٠٢-٢٠٠٣م.
- الرقيشي، سالم بن محمَّد بن سالم: البحر الفياض لسيرة علم من أعلام عُمان ممَّن ساروا على نهج عبد الله بن إباض، بحث غير منشور.
- الرقيشي، محمَّد بن سالم بن زاهر: كتاب النور الوقاد على علم الرشاد، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، مطبعة الألوان الحديثة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الرواحي، خلفان بن محمَّد: ترجمة عن سيرة الشيخ الرقيشي (مخطوط) مكتبة السيد، بدون رقم تصنيف.
- الرواحي، سالم بن محمَّد (معاصر): الدعوة الإسلاميَّة في عُمان في القرن الرابع عشر الهجري، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، رسالة ماجستير، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- الرواحي، ناصر بن سالم بن عديم: ديوان أبي مسلم البهلاني، طَبَعَهُ صالح بن عيسى الحارثي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الزَّوْزَني، حسين بن أحمد بن حسين (ت: ٤٨٦هـ): شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢ م.
- السالمي، أبو بشير محمَّد بن عبد الله بن حميد السالمي: نهضة الأعيان بحرية عُمان، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، د. ت.
- السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد: روض البيان عَلَى فيض المنان في الردِّ عَلَى من ادَّعَى قِدَمَ القُرآن، تح: عبد الرحمن بن سليمان السالمي، ط١، مكتبة السالمي، بديَّة، مطابع النهضة، سلطنة عُمان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- السعدي، فهد بن علي (معاصر): معجم أعلام الشعراء الإباضيَّة، (نسخة المكتبة الشاملة).
- السليمي، أبو عبيد حمد بن عبيد بن مسلم: هداية المبصرين في فتاوى المتأخرين، تح: ياسر بن مسعود الراشدي وآخرين، ط١، نشر مكتبة الشيخ العلاَّمة حمد بن عبيد السليمي، ٢٠١٢م.
- السليمي، محمود بن مبارك بن حبيب (معاصر): أثر الفكر الإباضي في الشعر العُماني في القرنين ١٣-١٤هـ، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عُمان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- السيابي، سالم بن حمود بن شامس (ت: ١٤١٤هـ): إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٨٤هـ.
- السيابي، سالم بن حمود بن شامس (ت: ١٤١٤هـ): العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة. (نسخة رقمية من الإنترنت)
- السيابي، سالم بن حمود بن شامس (ت: ١٤١٤هـ): عُمَانُ عَبْر التَاريخ، ط٢، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- غباش، حسين غانم (معاصر): عُمان الديمقراطية الإسلاميَّة، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث ١٥٠٠-١٩٧٠، ط١، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.
- الفارسي، ناصر بن منصور (معاصر)، نزوى عبر الأيام معالم وأعلام، ط١، مطابع النهضة، نشر نادي نزوى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الفراهيدي، الربيع بن حبيب الأزدي البصري (ت: ١٧٠هـ): الْجَامِعُ الصَّحِيحُ مسند الإمام الربيع بن حبيب، ترتيب: أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت: ٥٧٠هـ) نشر دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ومكتبة الاستقامة، روي، مسقط- سلطنة عُمان.
- فيلبس، وندل: تاريخ عُمان، تر: محمَّد أمين عبد الله، ط٥، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط - سلطنة عُمان، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م.
- الكندي، أبو عبد الله محمَّد بن إبراهيم بن سليمان السمدي النزوي (ت: ٥٠٨هـ): بيان الشرع الجامع للأصل والفرع، مراجعة وتصحيح: سالم بن حمد الحارثي،

مطبعة عُمان ومكتبتها، مطرح، سلطنة عُمان، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- الكندي، أحمد بن يحيى (معاصر): جامع نزوى وأدواره التاريخية (مرقون)، بحث مقدم ضمن ندوة العلماء العُمانيِّين والأزهريين.
- المالكي، عامر بن خميس بن مسعود: الدر النظيم من أجوبة أبي مالك بالمناظيم، ط١، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٢م.
- المالكي، عامر بن خميس بن مسعود: غاية المطلوب في الأثر المنسوب، تحقيق: بدر بن سالم بن حمدان العبري، ط١، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، عُمان، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- مجموعة مؤلفين: دليل أعلام عُمان، ط. جامعة السلطان قابوس ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- ناصر، محمَّد صالح، والشيباني، سلطان (معاصران): معجم أعلام الإباضيَّة، قسم المشرق، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦م.